

أسباب لدفع البلاء قبل وقوعه وأسباب لدفعه بعد وقوعه

للدكتورة: منيرة بنت محمد المطلق

إن الحمد لله نحمده ونستعينه من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ^(١) قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ ^(٢) وقال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ءَالَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ ^(٣) وقال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ ^(٤) .

أما بعد : فقد أمرنا الله باتخاذ الأسباب النافعة الجالبة للخير والدافعة للشر مع التوكل على الله في إتمام النتائج وبالتسليم والرضا بقضائه وقدره — سبحانه — إن لم يتم المراد لأنه لا يقع للعبد من بلاء إلا بقضاء الله وقدره وعلى العبد دفعه ، وإن وقع فعليه الصبر ومحاولة رفعه ويكون

(١) أخرجه مسلم : ٥٩٣/٢ .

(٢) (آل عمران : ١٠٢) .

(٣) (النساء : ١) .

(٤) (الأحزاب : ٧٠) .

منعه مثل الدعاء . قال ﷺ : « لا يرد القدر إلا الدعاء »^(١) والأسباب جميعها من قدر الله التي جعل الله للإنسان السعي فيها، وهذا ما فعله عمر ابن الخطاب رضي الله عنه عندما خرج إلى الشام فأخبروه أن الوباء قد وقع بأرض الشام فقال بعض الصحابة: نرى أن ترجع بالناس ولا تقدمهم على هذا الوباء فنأدى عمر في الناس إني مصبح على ظهر فأصبحوا عليه فقال أبو عبيدة بن الجراح^(٢) أفرار من قدر الله ؟ فقال عمر : لو غيرك قالها يا أبا عبيدة نعم نفر من قدر الله إلى قدر الله. فجاء عبد الرحمن بن عوف فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه» قال : «فحمد الله عمر ثم انصرف»^(٣) .

(١) أخرجه ابن ماجه : ١٣٣٤/٢ ، وأحمد : ٢٧٧/٥ ، والحاكم بلفظه ٦٧٠/١ ،

وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه وتابعه الذهبي () .

(٢) عامر بن عبد الله بن الجراح القرشي الفهري أبو عبيدة وهو أحد العشرة السابقين إلى الإسلام وهاجر الهجرتين وشهد بدرا وما بعدها وهو الذي انتزع الحلقة من وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فسقطت ثنيثا أبي عبيدة وقال فيه النبي صلى الله عليه وسلم لكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح) أخرجه البخاري : ٤ : ١٥٩٢ ، ومسلم : ٤ : ١٨٨١ اتفقوا على أنه مات في طاعون عمواس بالشام سنة ثمان عشرة. انظر الإصابة / ابن حجر ٥٨٦/٣ و ٥٨٩ .

(٣) أخرجه البخاري : ٢١٦٣/٥ .

أسباب لدفع البلاء قبل وقوعه... _____ د. منيرة بنت محمد المطلق

أهمية هذا البحث : ظهرت أهمية الموضوع من حيث :

تمسك بعض العوام بقول (اللهم إني لا أسألك رد القضاء ولكن أسألك اللطف فيه)^(١) وجعلوه حديثاً فتخلوا عن فعل الأسباب الدافعة والرافعة للبلاء ومن أهمها الدعاء .

- غفلة كثير من الناس عن أسباب دفع البلاء و النقم وأسباب رفعها وأسباب نزول النعم ودوامها.

- أن دفع البلاء أهون من رفعه.

- أن دفع البلاء ورفعته يكون باتخاذ الأسباب المشروعة لا بالذهاب إلى الكهنة والسحرة والعرافين.

منهجي في البحث :

١- إن كثيراً من الأسباب الدافعة أو الرافعة للبلاء لها فوائد عديدة في الدنيا والآخرة ولكن لم أذكر إلا ما يخص البحث وهو دفع البلاء ورفعته في الدنيا.

٢- إن هناك أسباباً كثيرة لدفع البلاء، وأدوية لا تحصي لرفع البلاء جاء ذكرها في الشريعة لم أوردتها لأنني لم أقصد الاستيعاب والحصر بل ضرب الأمثلة؛ لأنها تحتاج إلى أسفار عديدة لكثرتها.

٤- ولأن دفع البلاء أهون من رفعه أوردت أسباباً لدفع البلاء أكثر من إيراد أسباب لرفعته لأن الوقاية مقدمة على العلاج وخير منه.

(١) لم أجده في كتب السنة أو الأحاديث الضعيفة و الموضوعية.

خطوات البحث : وتتكون من تمهيد وفصلين وخاتمة وفهارس .

- | | |
|---------------------|----------------------------------|
| تمهيد : | معنى البلاء لغةً واصطلاحاً . |
| الفصل الأول : | أسباب دفع البلاء قبل وقوعه |
| | وفيه ثلاثة عشر مبحثاً هي : |
| المبحث الأول : | عبادة الشكر . |
| المبحث الثاني : | التقوى . |
| المبحث الثالث : | عبادة التزود بالطاعات وترك |
| | المحرمات |
| المبحث الرابع : | عدم التعرض لأولياء الله . |
| المبحث الخامس : | الأمر بالمعروف والنهي عن |
| | المنكر . |
| المبحث السادس : | الحمد باللسان عند رؤية المبتلى . |
| المبحث السابع : | صلة الرحم والبعد عن الظلم . |
| المبحث الثامن : | إسداء وصنع المعروف للناس . |
| المبحث التاسع : | التحرزات الليلية . |
| المبحث العاشر : | عبادة الاستعاذة . |
| المبحث الحادي عشر : | استيداع العبد الأشياء لله . |
| المبحث الثاني عشر : | الأخذ بالتوجيهات الشرعية عند |
| | رؤية الرؤى . |

المبحث الثالث عشر : حفظ الأطفال

الفصل الثاني: أسباب رفع البلاء بعد وقوعه

وفيه أربعة مباحث:

- | | |
|----------------|---------------------------|
| المبحث الأول : | الحبة السوداء . |
| المبحث الثاني: | حديث (الشفاء في ثلاث) . |
| المبحث الثالث | الصبر . |
| المبحث الرابع: | ماء زمزم . |

التمهيد : معنى البلاء في اللغة والاصطلاح :

أولاً : معنى البلاء في اللغة :

البلية و البلوى و البلاء واحد والجمع البلايا و بلاه جربه واختبره، وقولهم لا أبلية أي لا أكثر ث له و بلي الثوب بالكسر بلى بالقصر فإن فتحت الباء مددته وبلاء بالفتح والمد خلق فهو بَالٍ وبَلِي الميت أفنته الأرض .
و البلاء الإنعام يقال: بلوت الرجل، و أبليت عنده ، بلاء حسنا ، والبلوى اسم من بلاه الله يبلوه، و أبلاه عذرا أداه إليه فقبله وكذلك أبلاه جهده ، ويقال: بالى فلان فلانا مبالاة إذا فاخره و بالاه يباليه إذا ناقصه وبالى بالشيء يبالى به إذا اهتم به وقيل: اشتقاق باليت من البال بال النفس وهو الاكتراث ، ورجل بلو شر و بلي خير أي قوي عليه مبتلى به، وإنه

لبلو و بلي من أبلأء المال أي قيم عليه ،وفلان بلي أسفار إذا كان قد بلأه السفر والهم ونحوهما،ولا أباليه لا أكثرث له^(١).

ثانيا : معنى البلاء في الاصطلاح :

ذكر الطبري^(٢) أن البلاء هو الامتحان والاختبار بشدائد الأمور^(٣) .
وذكر القرطبي^(٤) أن البلاء هو الامتحان والاختبار من الله للعبد وقد يكون حسناً وقد يكون سيئاً^(٥).

(١) انظر: لسان العرب /ابن منظور: ١٤ / ٨٣-٨٦، و مختار الصحاح /الرازي: ٢٦، و المصباح المنير / أحمد المقري : ١ / ٦٢، ٨٤.

(٢) محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الإمام العلم المجتهد عالم العصر أبو جعفر الطبري من أهل طبرستان، وكان من أفراد الدهر علما وذكاء وكثرة تصانيف ، من تصانيفه: جامع البيان، وتاريخ الأمم. ت: ٣١٠هـ، انظر: سير أعلام النبلاء/ الذهبي: ١٤ / ٢٦٧ .

(٣) انظر جامع البيان / الطبري : ٢ / ٤١ ، ١ / ٢٧٥ .

(٤) هو: الشيخ المحقق شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن فرح الأنصاري الأندلسي صاحب التصانيف التي منها: الجامع لأحكام القرآن، وتذكرة القرطبي ، والتذكار في

أفضل الأذكار. ت: ٦٧١هـ. انظر: الملتبس / أحمد بن العيني: ٣٣٢.

(٥) انظر الجامع لأحكام القرآن / القرطبي : ١ / ٣٨٧ .

أسباب لدفع البلاء قبل وقوعه... د. منيرة بنت محمد المطلق

وقد ذكر الإمام ابن القيم^(١): أن الله سبحانه ابتلى العباد بالنعم كما ابتلاهم بأنواع النقم وعد ذلك كله ابتلاء قال تعالى ﴿وَبَلَوْنَهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾^(٢) وقال: ﴿وَبَلَوَكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾^(٣) وقال: ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ، وَنَعَّمَهُ، فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾^(٤) وقال: ﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ، فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ﴾^(٥) وقال: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾^(٦) وقال: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾^(٧) وقال: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾^(٨)، فأخبر سبحانه وتعالى أنه خلق العالم العلوي والسفلي وقدر أجل الخلق وخلق ما على الأرض للابتلاء والاختبار وهذا الابتلاء إنما هو

(١) هو أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر الزرعي، من أكابر العلماء، تلميذ شيخ الإسلام ابن تيمية له العديد من الكتب منها الصواعق المرسلة، زاد المعاد، والكافية الشافية،
ت: ٧٥١هـ انظر السحب الوابلة، على ضرائح الحنابلة/ابن حميد: ٥٦/٦.

(٢) (الأعراف: ١٦٨).

(٣) (الأنبياء: ٣٥).

(٤) (الفجر: ١٥ - ١٦).

(٥) (الكهف: ٧).

(٦) (الملك: ٢).

(٧) (هود: ٧).

ابتلاء صبر العباد وشكرهم في الخير والشر والسراء والضراء فالابتلاء من النعم من الغنى والعافية والجاه والقدرة وهي أعظم الابتلاءين والصبر على طاعة الله أشق الصبرين كما قال الصحابة رضي الله عنهم ابتلينا بالضراء فصبرنا وابتلينا بالسراء فلم نصبر فالرب تعالى يتلي بنعمه وينعم بابتلائه ، غير أن الصبر والشكر حالتان لازمتان للعبد في أمر الرب ونهيه وقضائه وقدره لا يستغنى عنهما طرفة عين والسؤال عن أيهما أفضل كالسؤال عن الحس والحركة أيهما أفضل وعن الطعام والشراب أيهما أفضل وعن خوف العبد ورجائه أيهما أفضل فالمأمور لا يؤدي إلا بصبر وشكر والمحذور لا يترك إلا بصبر وشكر وأما المقدور الذي يقدر على العبد من البلاء فمتى صبر عليه اندرج شكره في صبره كما يندرج صبر الشاكر في شكره ، ومما يوضح هذا أن الله سبحانه امتحن العبد بنفسه وهواه وأوجب عليه جهادهما في الله في كل وقت حتى تأتي (أي نفسه) بالشكر المأمور به ويصبر عن الهوى المنهي فلا ينفك العبد عنهما غنياً كان أو فقيراً معافى أو مبتلى وهذه هي مسألة الغني الشاكر والفقير الصابر^(١) .

(١) عدة الصابرين / ابن القيم : ١٢٥/١ .

أسباب لدفع البلاء قبل وقوعه... د. منيرة بنت محمد المطلق

يقول الشاعر :

قد يبتلي الله بالبلوى وإن عظمت ويبتلي الله بعض القوم بالنعم^(١)
فالابتلاء يكون بالخير والشر ، يقول الله تعالى ﴿ وَنَبِّئُكُمْ بِالْشَّرِّ
وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾^(٢). لكن الغالب من الآيات والأحاديث
أنها تقصر معنى البلاء على الشر، فمن هذه الآيات قوله تعالى :
﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ شَيْئًا مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ
وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾^(٣). يقول الطبري : وقوله بشيء من الخوف يعني من
الخوف من العدو وبالجوع وهو القحط يقول لنختبركم بشيء من
خوف ينالكم من عدوكم وبسنة تصيبكم ينالكم فيها مجاعة وشدة
وتعذر المطالب عليكم فتنقص لذلك أموالكم وحروب تكون بينكم
وبين أعدائكم من الكفار فينقص لها عددكم وموت ذراريكم وأولادكم
وجدوب تحدث فتنقص لها ثماركم كل ذلك امتحان مني لكم واختبار
مني لكم فيتبين صادقكم في إيمانه من كاذبيكم فيه ويعرف أهل
البصائر في دينهم منكم من أهل النفاق فيه والشك والارتياب كل ذلك
خطاب منه لأتباع رسول الله وأصحابه^(٤). ومن الأحاديث قوله ﷺ :

(١) البيت لأبي تمام انظر ديوانه : ٣١٤/١.

(٢) (الأنبياء: ٣٥) .

(٣) (البقرة: ١٥٥) .

(٤) جامع البيان/الطبري: ٤١/١ .

«لا يغني حذر من قدر والدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل وإن الدعاء والبلاء ليعتلجان^(١) بين السماء والأرض»^(٢).

وقوله ﷺ «اللهم أحسن عاقبتني في الأمور كلها وأجرني من خزي الدنيا وعذاب الآخرة» قال : «من كان ذلك دعاءه مات قبل أن يصيبه البلاء»^(٣).

الفصل الأول : أسباب دفع البلاء قبل وقوعه :

وفيه ثلاثة عشر مبحثاً :

- المبحث الأول : عبادة الشكر .
- المبحث الثاني : عبادة التقوى .
- المبحث الثالث : التزود بالطاعات وترك المحرمات .
- المبحث الرابع : عدم التعرض لأولياء الله .
- المبحث الخامس : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .
- المبحث السادس : الحمد باللسان عند رؤية المبتلى .
- المبحث السابع : صلة الرحم والبعد عن الظلم .

(١) (يَعْتَلِجَانِ أَيُّ يَتَدَافَعَانِ) تلخيص الحبير/ابن حجر ١٢١/٤.

(٢) أخرجه الحاكم : ١٦٩/١ ، وقال (صحيح الإسناد ولم يخرجاه) وتابعه الذهبي ، والطبراني في الأوسط : ٦٦/٣ .

(٣) أخرجه أحمد : ١٨١/٤ ، وابن حبان : ٢٢٩/٣ ، وقال : شعيب الأرناؤوط : "إسناده حسن" ، والطبراني في الكبير : ٣٣/٣ ، والحاكم : ٦٨٣/٣ ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد : ١٠ / ١٧٨ : (رواه أحمد والطبراني وزاد وقال : من كان ذلك دعاءه مات قبل أن يصيبه البلاء) ورجال أحمد وأحد أسانيد الطبراني ثقات).

أسباب لدفع البلاء قبل وقوعه... ————— د. منيرة بنت محمد المطلق

المبحث الثامن : إسداء وصنع المعروف للناس .

المبحث التاسع : التحرزات الليلية .

المبحث العاشر : عبادة الاستعاذة .

المبحث الحادي عشر : استيداع العبد الأشياء لله .

المبحث الثاني عشر : الأخذ بتوجيه المصطفى ﷺ عند رؤية الرؤى .

المبحث الثالث عشر : حفظ الأطفال

البحث:

التمهيد:

لقد جعل الله سبحانه أسبابا لدفع البلاء قبل وقوعه وأسبابا لرفعه
بعد وقوعه وكما هو معلوم بالضرورة أن دفع البلاء أهون من رفعه وليس
هناك مقارنة في ذلك .

عبادة الشكر:

إن شكر الله وحمده والثناء عليه — سبحانه — يعتبر من العبادات
والتي يشترك فيها جميع الجوارح ، وهي أيضاً من العبادات البدنية
والمالية .

ومعنى الشكر في اللغة:

يقول ابن منظور^(١): (الشكر عرفان الإحسان ونشره)^(٢)، أما الرازي^(٣) فقد قال: إن (الشكر الثناء على المحسن بما أولاه من المعروف .. والشكران ضد الكفران)^(٤).

تعريف الشكر اصطلاحاً:

شكر الله: ثناء عليه بنعمه وأياديه و الاعتراف بنعمة المنعم على وجه الخضوع، وقيل حقيقة الشكر الثناء على المحسن بذكر إحسانه، وهو أن تعلم أن النعمة من الله وحده.

وقد وردت آيات كثيرة لبيان حال الناس تجاه عبادة الشكر مع أنها من أفضل الطاعات، منها قوله تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾^(٥) لأن

(١) هو: محمد بن مكرم الأنصاري، اختصر عدة مؤلفات، وله كتاب في اللغة (لسان العرب)، ت: ٧١١هـ، انظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة/ ابن حجر: ٣١/٥ - ٣٣، تحقيق: محمد جاده، ط/بدون، دار الكتب الحديثة، مصر.

(٢) لسان العرب / ابن منظور: ٤٢٣/٤.

(٣) الرازي هو: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، لغوي، فقيه، صوفي، مفسر، أديب له مؤلفات منها: مختار الصحاح، وحدائق الحقائق ت: ٧٢١هـ. انظر: كشف الظنون / مصطفى القسطنطيني الرومي الحنفي: ١ / ٦٣٣، و معجم المؤلفين/ رضا كحالة: ١١٢/٩.

(٤) مختار الصحاح / الرازي: ٣٤٤.

(٥) (سبأ: ١٣).

أسباب لدفع البلاء قبل وقوعه... د. منيرة بنت محمد المطلق

الكثير من الناس يكون متسخطاً فلا يرضى بنعمة ، ولا يصبر على بلاء ولا يؤدي حق النعمة التي هو فيها بل قد يستخدمها بما حرم الله تعالى ويجحد النعم بإخفائها خوفاً من العين ، وقد أمر بالتحدث بها ، قال تعالى : ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ ^(١) ، وقال ﷺ : (إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده) ^(٢) . وذكر الإمام ابن القيم أن الله إذا سلب العبد النعمة ظل متسخطاً على ربه شاكياً لربه لا يصلح له على عافية ولا على ابتلاء . العافية تلقيه إلى مساخطه والبلاء يدفعه إلى كفرانه وجحود نعمته وشكايته إلى خلقه ومع هذا فلم يؤيسه . سبحانه . من رحمته بل قال في الحديث القدسي : (متى جئني قبلتك إن أتيتني ليلاً قبلتك وإن أتيتني نهاراً قبلتك وإن تقربت مني شبراً تقربت منك ذراعاً وإن تقربت مني ذراعاً تقربت منك باعاً ولو لقيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً أتيتك بقرابها مغفرة ، ولو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك) ^(٣) . وقد أثنى الله عز وجل على عبده نوح بكثرة الشكر فقال : ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ ^(٤) ، قال ابن عباس ؓ عن (الشكور) الذي يشكر

(١) (الضحى: ١١).

(٢) أخرجه الترمذي : ١٢٣/٥ ، وقال : (حديث حسن) وأحمد : ٣١١/٢ ،

والحاكم وقال : صحيح الإسناد ولم يخرجاه .

(٣) أخرجه مسلم بنحوه ج ٤/ص ٢٠٦٨ ، وانظر مدارج السالكين/ ابن القيم ١/ ١٩٤ .

(٤) (الإسراء: ٣) .

على أحواله كلها ^(١)، وهذا كان حال نبينا ﷺ الذي قال لمن تعجب من قيامه لدرجة تفتط قدميه وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر: (أفلا أكون عبداً شكوراً) ^(٢). والمؤمن حاله بين الشكر والصبر قال ﷺ: (عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له، وإن أصابته سراء شكر فكان خيراً له) ^(٣) لأن الله يختبر عباده دائماً بالشكر والصبر، وحياة الإنسان تمر بالأحداث التي تسبب الشكر والصبر فالله يختبر عباده بالشدة أو الرخاء، والمؤمن الحقيقي هو الذي يحمد ربه في كل حال. لكن بعض الناس لا يصبرون على الضراء ولا يشكرون في الرخاء فقد يظن أن النعمة منه وليس من الله فلذلك لا يشكر الله على نعمه، والذي يؤمن بالله ويعرفه حق المعرفة إذا أصابته مصيبة أو نعمة يعرف أن هذا ليس إلا امتحاناً، قال تعالى: عن سليمان الصلوات: ﴿قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ ^(٤) يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: (ومما يظهر الأمر ما ابتلى الله به عباده في الدنيا من السراء والضراء وقال سبحانه ﴿فَأَمَّا آلَ النَّسْرِ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ، وَنَعَّمَهُ، فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾ ^(٥) وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ

(١) انظر: روح المعاني / الألوسي : ١٢٠ / ٢٢ .

(٢) أخرجه البخاري : ١ / ٣٨٠ .

(٣) أخرجه مسلم ج ٤ / ص ٢٢٩٥ .

(٤) (النمل : ٤٠) .

رَزَقَهُ، فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ ﴿١﴾، يقول الله سبحانه إنه ليس الأمر كذلك ليس إذا ما ابتلاه فأكرمه ونعمه يكون ذلك إكراماً ، وليس إذا ما قدر عليه رزقه يكون ذلك إهانة بل هو ابتلاء في الموضعين وهو الاختبار والامتحان فإن شكر الله على الرخاء وصبر على الشدة كان كل واحد من الحالين خيراً له كما قال النبي ﷺ: «لا يقضي الله للمؤمن قضاء إلا كان خيراً له، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن» ^(٢) وإن لم يشكر ولم يصبر كان كل واحد من الحالين شراً له ^(٣)، ونعم الله على عباده لا تحصى لكثرتها كالحواس والصحة والمال والولد وغيرها فلا يطاق شكرها قال عز وجل ﴿وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ^(٤). ومع ذلك فإن الله غفور رحيم بكم لما كان منكم من تقصير في الشكر إذا تبتم وأنبتم إلى طاعته واتباع مرضاته رحيم بكم أن يعذبكم عليه بعد الإنابة إليه والتوبة فلا تبدلوا نعمة الله بالكفر ^(٥).

وشكر الله يكون بالقلب وذلك بنسبة النعم إلى الله وأما شكر اللسان فهو بالثناء عليه وحفظه من اللغو.

(١) (الفجر: ١٥ - ١٦) .

(٢) سبق تخريجه.

(٣) قاعدة في المحبة / ابن تيمية : ١٥٦/١ ، والفتاوى الكبرى/ابن تيمية : ١ / ٢٦٢ .

(٤) (سورة النحل : ١٨) .

(٥) انظر: جامع البيان / الطبري : ٩٣/١٤ .

أما بقية الجوارح فيكون شكر الله بها عن طريق استخدامها في طاعة الله وتجنبها المعاصي فمثلاً شكر العينين غضهما عن محارم الله تعالى وعن عيوب الناس ، وحثهما على قراءة المصحف وكتب العلم وشكر الأذنين صرفهما عن سماع عيوب الناس ، وعما لا يحل سماعه من الأغاني والمعازف وغيرها واستخدامهما بالطاعات وسماع القرآن والعلم النافع ، وشكر اليدين كفهما عن أموال الناس من شكر اليدين الإنفاق وكتابة العلم النافع واستعمالهما بما ينفع نفسه وغيره ، وشكر الرجلين كفهما عن المشي في معصية الله^(١)، وحثهما على المشي إلى ما فيه مرضاة الله سبحانه. فجميع العبادات التي أوجبها الله علينا إنما وجبت شكراً على النعم فالله سبحانه غني عنا مغن لنا فنحن المحتاجون إليه .

دفع الشكر للبلاء قبل وقوعه :

الحمد والشكر سبب لزيادة النعم ودفع البلاء والنقم فالنعمة طير والشكر جناحها فإذا شكرت النعمة قرت وإذا كفرت فرت قال تعالى : ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾^(٢) : فكما أن هذه الآية دليل على أن الشكر لزيادة النعم فهي دليل على أن كفر النعم سبب لزوالها لأنه سبحانه قال : ﴿وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾^(٣) ، ونعم الله على الناس

(١) انظر: حقائق الحقائق / الرازي : ١٣٤ .

(٢) (إبراهيم: ٧).

(٣) (إبراهيم: ٧).

أسباب لدفع البلاء قبل وقوعه... ————— د. منيرة بنت محمد المطلق

كثيرة فقد أرسل إليهم الرسل وأنزل عليهم الكتب وخلقهم في أحسن تقويم وأعطاهم الأعضاء المختلفة الوظائف من أبصار وأسماع وكل ذلك إنعام محض من غير أن يسبق من العبد ما يوجب استحقاقه شيئاً من نعم الله . ومقابل ذلك يجب عليهم الاستقامة على طريق الإسلام ، والقيام بأوامر الله ، واجتناب نواهيه وهذا هو الشكر . ليكون عمل كل عضو شكراً لما أنعم عليه في ذلك ، ومنها نعمة المفاصل اللينة والجوارح المنقادة التي بها يقدر على استعمالها في الأحوال المختلفة من القيام والقعود والركوع والسجود، والصلاة تشتمل على هذه الأحوال ، فأمرنا باستعمال هذه النعم الخاصة في هذه الأحوال في خدمة المنعم شكراً لهذه النعمة ، وشكر النعمة فرض عقلاً وشرعاً ، ومنها أن الصلاة وكل عبادة خدمة للرب - جل جلاله - وخدمة المولى على العبد لا تكون إلا فرضاً والعزيمة هي شغل جميع الأوقات بالعبادات بقدر الإمكان ^(١) لأن العبد في أوقات ليله ونهاره لا يخلو من ذنب أو خطأ أو زلة تقصير في العبادة وقد سبق إليه من الله - تعالى - من النعم والإحسان ولو أراد أحد شكر ذلك كله لم يقدر على أداء شكر واحد منها فضلاً عن أن يؤدي شكر الكل فيحتاج العبد إلى تكفير ذلك التقصير في الشكر إذ هو فرض عليه، لذا فرضت الصلوات الخمس تكفيراً لذلك ^(٢)، وكذا فإن

(١) انظر: كتاب بدائع الصنائع / الكاساني : ٩٠/١ .

(٢) انظر: كتاب بدائع الصنائع / الكاساني : ٩١/١ .

الصوم وسيلة إلى شكر النعمة ، إذ هو كف النفس عن الأكل والشرب والجماع ، وهذه من أجل النعم والامتناع عنها زماناً يبين قدرها فيحمله ذلك على قضاء حقها بالشكر وشكر النعم فرض عقلاً وشرعاً وإليه أشار الرب تعالى في قوله في آية الصيام ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ^{(١)(٢)} ، وهناك أنواع من العبادة كالصدقة والتلاوة تعد من وسائل شكر الله تعالى ^(٣) ولأن توفية شكر الله - تعالى - صعبة ، كما تقدم لذا لم يثن - سبحانه - بالشكر على أحد من أوليائه ^(٤) إلا على اثنين هما نوح وإبراهيم - عليهما السلام قال تعالى عن نوح عليه السلام: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ ^(٥) وقال عن إبراهيم عليه السلام: ﴿شَاكِرًا لِّأَنْعَمِي أَجَبْتُهُ وَهَدَيْتُهُ إِلَيَّ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ^{(٦)(٧)} فعلى العبد المداومة على الشكر لا لحاجة الله إليه ولكن لينال به المزيد من فضله فجعل كفران نعمه والاستعانة بها على مساخطه من أكبر أسباب صرفها عنه وأمره بذكره ليذكره بإحسانه فجعل نسيانه سبباً لنسيان الله له ﴿وَلَا

(١) (البقرة: ١٨٥).

(٢) انظر: التعليق الصبيح على مشكاة المصابيح / الكاندهلوي : ٣٦٨/٢ .

(٣) المصدر السابق : ٣٦٨/٢ .

(٤) قال تعالى : ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ﴾ سبأ: ١٣ .

(٥) (سورة الإسراء ، آية : ٣) .

(٦) (سورة النحل ، آية : ١٢١) ..

(٧) انظر: روح المعاني / لأبي الثناء محمود الألوسي : ١٨٩/١٣ .

أسباب لدفع البلاء قبل وقوعه... د. منيرة بنت محمد المطلق

تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١﴾ ﴿الْمُنْفِقُونَ
وَالْمُنْفِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ
وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنْفِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (٢)
لقد أمر الله العبد بسؤاله ليعطيه فلم يسأله بل أعطاه أجل العطايا بلا
سؤال فلم يقبل ولم يرض بل شكا من يرحمه إلى من لا يرحمه ويتظلم
ممن لا يظلمه إلى من يظلمه (٣). وذكر ابن القيم أن الشكوى نوعان :
شكوى بلسان المقال ، وشكوى بلسان الحال وهي أشدها فيظهر
وملابسه مهترئة مدعياً الفقر (٤) ، ولو نظر ابن آدم لنعم الله في نفسه
لشكره وما كفره، قال ﷺ : «من أصبح معافى في بدنه آمناً في سربه
عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا» (٥) .

ويؤدي المسلم شكر يومه إذا قال حين يصبح «اللهم ما أصبح بي
من نعمة فمنك وحدك لا شريك لك فلك الحمد ولك الشكر فقد أدى

(١) (سورة : الحشر: ١٩) .

(٢) (سورة: التوبة: ٦٧) .

(٣) انظر مدارج السالكين/ابن القيم: ١٩٣ / ٢ .

(٤) انظر عدة الصابرين / ابن القيم: ١٢٥ .

(٥) أخرجه ابن ماجه : ١٣٨٧/٢ ، و ابن حبان : ٤٤٦/٢ ، والطبراني في الأوسط ٢٣٠ / ٢
وقال الهيثمي في مجمع الزوائد : ٢٨٩ / ١٠ : (رواه الطبراني ووثقوا على ضعف في
بعضهم) .

شكر يومه ومن قال مثل ذلك حين يمسي فقد أدى شكر ليلته»^(١).

المبحث الثاني : التقوى

التقوى من أعظم أسباب جلب السعادة ودفع البلاء، وترك التقوى سبب لكل عسر؛ لأن الله عز وجل مع المتقين.

يقول سبحانه ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾^(٢) وهو

سبحانه وليهم، يقول سبحانه وتعالى : ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٣).

ومعنى التقوى في اللغة: هي اسم من وقى بمعنى صان وحفظ وهي

بمعنى الحذر والحماية^(٤).

ومعنى التقوى في الاصطلاح : يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : «التقوى

هي فعل ما أمر الله به وترك ما نهى الله عنه»^(٥). والتقوى ليست كلمة تقال

باللسان ، بل هي مستقرة بالقلب وتصدقها الجوارح فقد قال ﷺ : «التقوى

(١) أخرجه أبو داود : ٣١٨ / ٤ ، وابن حبان : ١٤٣ / ٣ قال ابن حجر في فتح

الباري : ١١ / ١٣١ : (أخرجه أبو داود والنسائي وصححه ابن حبان).

(٢) (النحل : ١٢٨) .

(٣) انظر التبيان في أقسام القرآن/ ابن القيم ٣٧ / ١ .

(٤) (الجاثية : ١٩) .

(٥) انظر لسان العرب/ابن منظور : ٤٠١ / ١٥ - ٤٠٣ ، الصحاح/ للجوهري : ٦ / ٢٥٢٧ .

(٦) مجموع الفتاوى/ابن تيمية : ٣ / ٦١٤ .

ها هنا ، ويشير إلى صدره ثلاث مرات»^(١).

دفع التقوى للبلاء قبل وقوعه :

إن من تدبر جزاء وثواب التقوى في كتاب الله، و سنة رسوله ﷺ علم بأنها سبب كل خير في الدنيا والآخرة ، فإذا قرأت كتاب ربك من أوله إلى آخره وجدت التقوى مفتاح كل مسرة ومغلق كل مضرة في الدنيا والآخرة وهي سبب لدفع البلاء ، ولا تأتي البلايا والمحن والعقوبات إلا بسبب الإهمال أو الإخلال بالتقوى وإضاعته، أو إضاعة جزء منها ، التقوى لها فوائد عديدة في الدنيا والآخرة ، ومن فوائدها وثمارها في الدنيا جلب الخير ودفع البلاء — بإذن الله — فهي سبب لحصول الرحمة واندفاع النقمة يقول الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾^(٢) وهي سبب للفلاح والنجاح ودفع الفشل والانحطاط يقول سبحانه: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَتَأُولَى الْآلَتَبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(٣) ومن فضائل التقوى أيضا الأمن من الخوف والحزن يقول الله تعالى: ﴿فَمَنْ أَتَقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(٤) والتقوى سبب للتيسير واليسر على المتقي لربه يقول الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى

(١) أخرجه مسلم : ١٩٨٦ / ٤ .

(٢) (الحجرات: ١٠) .

(٣) (المائدة: ١٠٠) .

(٤) (الأعراف: ٣٥) .

﴿٥﴾ وَصَدَقَ بِالْحُسْنَى ﴿٦﴾ فَسَنِيَرُهُ لِلْيُسْرَى ﴿١﴾ ويقول تعالى : ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ ﴿٢﴾، وبالتقوى يندفع الفقر ويحل الرزق ذكر الله عز وجل ذلك في آيات منها: قوله تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿٣﴾. فمن أقام الدين فقد اتقاه سبحانه يقول الطبري : (وأما معنى قوله: ﴿لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ فإنه يعني لأنزل الله عليهم من السماء قطرها فأنبئت به الأرض حبها ونباتها فأخرج ثمارها ، وأما قوله: ﴿وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ فإنه يعني تعالى ذكره لأكلوا من بركة ما تحت أقدامهم من الأرض وذلك ما تخرجه الأرض من حبها ونباتها وثمارها وسائر ما يؤكل مما تخرجه الأرض) ﴿٤﴾ بلا كد ولا تعب ولا شقاء ولا عناء بل في سرور وحبور وقال بعضهم: معناه لكانوا في الخير كما يقول القائل: هو في الخير من قرنه إلى قدمه ﴿٥﴾ وقوله تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَنَحْنَاهُمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا

(١) (الليل: ٥، ٦، ٧) .

(٤) (الطلاق: ٤) .

(٣) (المائدة: ٦٦) .

(٤) جامع البيان / الطبري : ٣٠٥/٥ .

(٥) انظر: جامع البيان / الطبري : ٣٠٥/٥ .

أسباب لدفع البلاء قبل وقوعه... د. منيرة بنت محمد المطلق

فَأَخَذَتْهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١﴾. يقول ابن كثير : (أي آمنت قلوبهم بما جاء به الرسل وصدقت به واتبعته، وابتغوا بفعل الطاعات وترك المحرمات لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض أي قطر السماء ونبات الأرض وقال تعالى : ﴿ وَلَئِنْ كَذَبُوا فَاعَذْنَهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ ^(٢) أي ولكن كذبوا رسلهم فعاقبناهم بالهلاك على ما كسبوا من المآثم والمحارم ^(٣). وقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ ^(٤)، ويقول الرسول الكريم ﷺ عن هذه الآية : إني لأعلم آية لو أخذ الناس بها لكفتهم ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴾ ^(٥) ^(٦) يقول الشوكاني ^(٧) عند هذه الآية : ﴿ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ قال من حيث لا يدري ^(٨)، وقال ابن

(١) (الأعراف: ٩٦).

(٢) (الأعراف: ٩٦).

(٣) تفسير القرآن العظيم/ابن كثير: ٢ / ٢٣٤.

(٤) (الطلاق: ٢ ، ٣) .

(٥) (الطلاق: ٢) .

(٦) أخرجه الدارمي : ٢ / ٣٩٢ ، وقال الألباني في ضعيف الجامع الصغير ٦٣٧٢ : (ضعيف) .

(٧) الشوكاني: هو العلامة النظار الجيهذ القاضي محمد بن علي الشوكاني، أحد الأئمة الأعلام له مؤلفات عدة أعظمها ((نيل الأوطار في شرح منتقى الأخبار)) ت: ١٢٥٠هـ.

فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمسلسلات للكتاني ج ٢ / ص ١٠٨٥ .

(٨) فتح القدير / الشوكاني : ٥ / ٢٤٣ .

كثير: (أي ومن يتق الله فيما أمره به وترك ما نهاه عنه يجعل له في أمره مخرجاً ، ويرزقه من حيث لا يحتسب ، أي من جهة لا تخطر بباله)^(١) .

فالذي يتقي الله ينجيه الله عز وجل من كل كرب من كرب الدنيا والآخرة ويجعل له من كل شيء ضاق على الناس مخرجاً^(٢) .

وفي التقوى حفظ من الشيطان وشره ودفع لوسواسه وتلبسه قال تعالى ﴿إِنَّ الَّذِيكَ اتَّقُوا إِذَا مَسَّهُمْ طَلِيفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾^(٣) .

المبحث الثالث : التزود بالطاعات وترك المحرمات :

وكلما زاد العبد طاعة لله كلما ازداد بعدا عن المعاصي واقترب من الله فيكون في مأمن مما يشقيه.

دفع الطاعات والورع للبلاء :

إن الإكثار من الطاعات وحفظ الفرائض وترك المحرمات سبب لدفع البلاء وجلب الخير والسرور ودوام الجور لأن حفظ الأوامر والفرائض بفعلها وعدم تركها أو التساهل بأدائها وحفظ الأدعية والأذكار بقولها، وحفظ الحدود بالوقوف عندها من أسباب حفظ الله للعبد في دنياه

(١) تفسير القرآن العظيم / ابن كثير ٤ / ٣٨٠ .

(٢) انظر جامع البيان / الطبري : ٢٨ / ١٣٨ .

(٣) (الأعراف: ٢٠١) .

أسباب لدفع البلاء قبل وقوعه... د. منيرة بنت محمد المطلق

من الذنوب وعن كل أمر يكرهه ويحفظ ذريته من بعده يقول صلى الله عليه وسلم: «يا غلام إني أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف»^(١) يقول الصنعاني: (المراد من قوله: «احفظ الله» أي حدوده وعهوده وأوامره ونواهيه وحفظ ذلك هو: الوقوف عند أوامره بالامثال وعند نواهيه بالاجتناب وعند حدوده ألا يتجاوزها ولا يتعدى ما أمر به إلى ما نهى عنه فيدخل في ذلك فعل الواجبات كلها من الصلاة والصيام والحج والزكاة وغيرها وترك المنهيات كلها من الكبائر والصغائر، وقال تعالى: ﴿وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ﴾^(٢)، وقال: ﴿هَذَا مَا تُوَعَّدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيفٍ﴾^(٣) وفسر العلماء الحفيظ بالحافظ لأوامر الله وفسر بالحفظ لذنوبه حتى يرجع منها، فأمره صلى الله عليه وسلم بحفظ الله

(١) أخرجه أحمد ٢٩٣/١ والترمذي ٦٦٧/٤ وقال: (حديث حسن صحيح)، والحاكم ٥٤١/٣،

و أبو يعلى في مسنده: ٨٤/٣، وقال محققه (حسين أسد) [صحيح]، وقال المحقق لكتاب

ابن رجب نور الاقتباس (حديث صحيح بطرقة) ٢٧٠ .

(٢) (سورة التوبة، آية: ١١٢).

(٣) (سورة ق: آية ٣٢) .

ويدخل فيه كل ما ذكر وتفصيلها واسعة وقوله: «تجده أمامك» وفي اللفظ الآخر «يحفظك» والمعنى متقارب أي تجده أمامك بالحفظ لك من شرور الدارين .. يحفظه في دنياه عن غشيان الذنوب وعن كل أمر مرهوب ويحفظ ذريته من بعده ... وقوله: «فاسأل الله» أمر بإفراد الله عز وجل بالسؤال وإنزال الحاجات به وحده وأخرج الترمذي مرفوعاً «سلوا الله من فضله فإن الله يحب أن يسأل»^(١).

وفيه من حديث أبي هريرة^(٢) مرفوعاً: «من لا يسأل الله يغضب عليه»^(٣)، وفيه: «إن الله يحب الملحين في الدعاء»، وفي حديث آخر «ليسأل أحدكم ربه حاجته كلها حتى يسأله شسع نعله»^(٤)

(١) أخرجه الترمذي: ٥٦٥/٥ والطبراني في الكبير: ٤٣١ / ٨ ، وقال الألباني في السلسلة الضعيفة (٧٠٥ / ١) (ضعيف جداً)

(٢) اختلف في اسمه على أقوال أرجحها عبد الرحمن بن صخر وكان اسمه عبد شمس فغيره الرسول - ﷺ - ، وكان من أحفظ الصحابة . أسلم في السنة السابعة، اختلف في سنة وفاته والراجح أنها ٥٧هـ، انظر: الاستيعاب/ابن عبد البر: ١٢٢/١

(٣) أخرجه الترمذي: ٤٥٦/٥ ، والحاكم: ٦٦٧ / ١ ، وقال: (صحيح الإسناد) ، والشهاب في مسنده: ١٤٥/٢ ، وذكر ابن حجر في الفتح: ٩٥ / ١١ أن الطبراني أخرجه في الدعاء بسند رجاله ثقات إلا أن فيه عنعنة بقية عن عائشة مرفوعاً.

(٤) (الشسع أحد سيور النعل وهو الذي يدخل بين الأصبعين ويدخل طرفه في الثقب الذي في صدر النعل المشدد في الزمام والزام السير الذي يعقد فيه الشسع) النهاية في غريب الحديث/ابن الأثير: ٢ ص: ٤٧٢.

أسباب لدفع البلاء قبل وقوعه... _____ د. منيرة بنت محمد المطلق

إذا انقطع»^(١) «وقد بايع النبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم جماعة من الصحابة على ألا يسألوا الناس شيئاً منهم الصديق وأبو ذر وثوبان»^(٢) وكان أحدهم يسقط سوطه أو يسقط خطم ناقته فلا يسأل أحداً أن يناوله»^(٣) وإفراد الله بطلب الحاجات دون خلقه دل عليه العقل والسمع فإن السؤال بذل لماء الوجه وذل لا يصلح إلا لله تعالى لأنه القادر على كل شيء الغني مطلقاً والعباد بخلاف هذا ففي صحيح مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث القدسي: «يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المحيط إذا أدخل في البحر»^(٤) ، وفي رواية أخرى بزيادة: «إني جواد

(١) أخرجه النسائي في الكبرى: ١٥٤/٥، وابن حبان: ١٤٨/٣، والطبراني في الأوسط: ٢٣٠/٥، والكبير: ١٠١/١٠، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٥٠/١٠: (رواه البزار ورجاله رجال الصحيح غير سيار بن حاتم وهو ثقة).

(٢) ثوبان بن بجرّد أبو عبد الله مولى النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبه ذو الأصابع رجل من أهل اليمن من المدد الذين نزلوا الشام بيت المقدس انظر: التاريخ الكبير: ١٨١/٢، والطبقات الكبرى: ٧/٤٢٤.

(٣) أخرجه أبو داود: ١٢/٣، وابن ماجه: ٩٥٧/٢، وقال الألباني في سنن أبي داود: ١٦٤٢ (صحيح).

(٤) أخرجه مسلم: ١٩٩٤/٤.

ماجد أفعل ما أريد عطائي كلام وعذابي كلام إذا أردت شيئاً فإنما أقول له كن فيكون»^(١)، وقوله: «إذا استعنت فاستعن بالله» مأخوذ من قوله: ﴿وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾^(٢) أي نفردك بالاستعانة فالنبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم أمره أن يستعين بالله وحده في كل أموره أي إفراده بالاستعانة على ما يريده وفي إفراده تعالى بالاستعانة فائدتان فالأولى: أن العبد عاجز عن الاستقلال بنفسه في الطاعات والثانية: أنه لا معين له على مصالح دينه ودنياه إلا الله عز وجل فمن أعانه الله فهو المعان^(٣).

ومثل هذا الكلام ذهب إليه ابن رجب^(٤) بقوله: (معناه أن من حفظ حدود الله وراعى حقوقه وجد الله معه في كل أحواله حيث توجه يحوطه وينصره ويحفظه ويوفقه ويسدده ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ

(١) أخرجه الترمذي: ٦٥٦/٤، وقال: (هذا حديث حسن)، وابن ماجه: ١٤٢٢/٢

وأحمد: ١٥٤/٥.

(٢) (سورة الفاتحة: ٥) .

(٣) سبل السلام/ الصنعاني: ١٧٦/٤.

(٤) هو الإمام الحافظ المحدث الفقيه الواعظ أبو الفرج زين الدين عبد الرحمن بن أحمد ابن رجب البغدادي ثم الدمشقي الحنبلي، أكثر التصنيف حتى مهر وصنف شرح الترمذي وعلل الترمذي وشرح قطعة من البخاري وطبقات الحنابلة وغيرها، ت: ٧٩٥هـ. انظر: ذيل تذكرة الحفاظ / لأبي المحاسن محمد بن علي الحسيني الدمشقي: ٣٦٧ - ٣٦٨، وكشف الظنون/ الحنفي: ٢ / ١٩١١.

أسباب لدفع البلاء قبل وقوعه... د. منيرة بنت محمد المطلق

تُحْسِنُونَ ﴿^(١)﴾، قال قتادة: من يتق الله يكن معه ومن يكن الله معه فمعه الفضة التي لا تُغلب والحارس الذي لا ينام والهادي الذي لا يضل بل كتب بعض السلف إلى أخ له أما بعد فإن كان الله معك فمن تخاف وإن كان عليك فمن ترجو وهذه المعية الخاصة هي المذكورة في قوله تعالى لموسى وهارون: ﴿قَالَ لَا تَخَافُ إِنَّنِي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ ﴿^(٢)﴾، وقول موسى ﴿قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ ﴿^(٣)﴾...، فهذه المعية الخاصة تقتضي النصر والتأييد والحفظ والإعانة. ﴿^(٤)﴾ وهذا الحفظ يشمل عمل جميع الطاعات والأذكار بفعلها وترك جميع المحرمات فإذا فعل ذلك حفظ، يقول ابن رجب: (فمن حفظ الله حفظه من كل أذى قال بعض السلف من اتقى الله حفظ نفسه ومن ضيع تقواه فقد ضيع نفسه والله غني عنه ومن عجيب حفظ الله لمن حفظه أن يجعل الحيوانات المؤذية بالطباع حافظة له من الأذى كما جرى لسفينة مولى النبي صلى الله عليه وسلم حين كسر به المركب وخرج إلى جزيرة فرأى الأسد فجعل يمشي معه حتى دله على الطريق فلما أوقفه عليها جعل يهتمهم كأنه يودعه ثم رجع عنه ﴿^(٥)﴾ وعكس هذا أن من ضيع الله ضيعه الله

(١) (سورة النحل، آية: ١٢٨).

(٢) (سورة طه، آية: ٤٦).

(٣) (سورة الشعراء، آية: ٦٢).

(٤) جامع العلوم والحكم/ ابن رجب: ١٨٨.

(٥) أورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٣٦٦/٩، والذهبي في السير: ١٧٣/٣.

فضاع بين خلقه حتى يدخل عليه الضرر والأذى ممن كان يرجو نفعه من أهله وغيرهم كما قال بعض السلف (إني لأعصي الله فأعرف ذلك في خلق خادمي ودابتي).

وهذا هو (النوع) الأول . (والنوع) الثاني: من الحفظ وهو أشرف النوعين حفظ الله للعبد في دينه وإيمانه فيحفظه في حياته من الشبهات المضلة ومن الشهوات المحرمة ويحفظ عليه دينه عند موته فيتوفاه على الإيمان... لأن العبد حفظ نفسه فحفظه الله ، وعن النبي صلى الله عليه وسلم أن (الله) أمره أن يقول عند منامه: «إن أمسكت نفسي فارحمها وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين» ^(١)، وقد علم النبي صلى الله عليه وسلم أحد الصحابة أن يقول: «اللهم احفظني بالإسلام قائماً واحفظني بالإسلام قاعداً واحفظني بالإسلام راقداً ولا تطمع في عدواً ولا حاسداً» ^(٢)، فإن الله عز وجل يحفظ المؤمن الحافظ لحدود دينه ويحول بينه وبين ما يفسد عليه دينه بأنواع من الحفظ وقد لا يشعر العبد ببعضها ^(٣)، وبعضها يكون معجزة أو كرامة كما حصل من انفلاق البحر لموسى عليه السلام وقومه وانطباقه على فرعون وجنوده وكما حصل

(١) أخرجه البخاري : ٢٣٢٩ / ٥ .

(٢) أخرجه ابن حبان: ٢١٤ / ٣، والحاكم: ٧٠٦ / ١، وقال: صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه.

(٣) جامع العلوم والحكم لابن رجب ص ٨٧ .

لخاتم النبيين ﷺ في غزوة حنين حين التقى المسلمون الأعداء فولى صحابة النبي صلى الله عليه وسلم فغشى الكفار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على بغلته الشهباء فنزل عن البغلة ثم قبض قبضة من تراب من الأرض ثم استقبل به وجوههم فقال : «شاهت الوجوه » فما خلق الله منهم إنسانا إلا ملأ عينه ترابا بتلك القبضة فولوا مدبرين فهزمهم الله عز وجل وقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم غنائمهم بين المسلمين^(١) و ما حصل للعلاء بن الحضرمي^(٢) عندما بعثه أبو بكر الصديق^(٣) في جيش قبل البحرين وكانوا قد ارتدوا فسار إليهم وبينه وبينهم البحر يعني الرقراق حتى مشوا فيه بأرجلهم فقطعوا كذلك مكانا كانت تجري فيه السفن وهي اليوم تجري فيه أيضا فقاتلهم وأظهره الله عليهم وبذلوا الزكاة^{(٤)(٥)}، فالله عز وجل له أسماء لا تحصى منها اسم (الحفيظ) وله معنيان:

(١) أخرجه مسلم : ٣ / ١٤٠٢ .

(٢) هو: العلاء بن عبد الله بن عماد بن أكبر بن ربيعة بن مقنن بن كان من حلفاء بني أمية ومن سادة المهاجرين ولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم البحرين ثم وليها لأبي بكر وعمر، ت: ٢١١هـ. انظر: سير أعلام النبلاء/الذهبي: ١ / ٢٦٢ - ٢٦٤ .

(٣) أبو بكر الصديق هو: عبد الله بن أبي قحافة بن فهر بن مالك القرشي التيمي، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم تولى الخلافة وهو ابن ٦٣ .

انظر: الإصابة/ لابن حجر: ٢ / ٣٣، الاستيعاب لابن عبد البر: ٤ / ١٨ .

(٤) أخرجه الطبراني في الكبير: ١٨ / ٩٦، وانظر سير أعلام النبلاء/الذهبي: ١ / ٢٦٤ .

(٥) انظر: جامع العلوم والحكم / ابن رجب ٨٧ .

الأول: حفظه لجميع ما يصدر من عباده خيراً كان أو شراً. **الثاني:** حفظه لعباده من جميع ما يكرهون وهو نوعان: خاص، وعام.

العام: حفظه لجميع المخلوقات بتيسيره لها ما يقيتها وتمشي به إلى هدايته قال تعالى: ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾^(١)، وهذا يشترك به الحيوانات والناس كالهداية للمأكّل والمشرب وغيره.

الخاص: وهذا لا يكون إلا لأوليائه الذين حفظوه فيحفظهم مما يضر إيمانهم أو يزلزل يقينهم من الشبه أو الفتنة أو الشهوات، ويحفظهم من أعدائهم ويدفع عنهم كيد الإنس والجن: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾^(٢) وهذا عام في دفع جميع ما يضرهم في دينهم ودنياهم^(٣).

فالعبد إذا حافظ على ما فرضه الله عليه من الطاعات وحافظ على حدود الله من الكبائر والموبقات باجتنابها وحافظ على الأذكار والتي منها (أذكار الصباح والمساء ودخول الأماكن واللبث فيها والخروج منها، وأذكار النوم والأكل واللبس) حفظه سبحانه وتعالى في دينه ونفسه وعرضه وولده وأهله وماله من كل شر ووقاه من كل ما يكره وحفظه من الوقوع في المعاصي فيكون في صحة وسعادة في الدنيا والآخرة محفوظاً من البلاء فهو في سرور وحبور.

(١) (سورة طه، آية: ٥٠).

(٢) (سورة الحج، آية: ٣٨).

(٣) انظر شرح أسماء الله الحسنى / الشيخ سعيد القحطاني: ١١٢-١١٥.

المبحث الرابع: عدم التعرض لأولياء الله تعالى:

إن مما يدفع البلاء عدم التعرض لأولياء الله المشهود لهم بالخير، لأنه إن تعرض لهم حلت عليه العقوبة، قال صلى الله عليه وسلم في الحديث القدسي: (من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه)^(١). إن ولي الله عز وجل يسدده سبحانه لمحبه له فيسد سمعه فما يسمع به إلا خيراً، وكذا بصره فلا يرى به إلا ما ينفعه في الدنيا والآخرة ولا يتسلط عليه عدو إلا انتصر عليه لتسديد الله له ويسير بقدميه على الصراط المستقيم قد حفظه الله من الزيغ عنه محفوف بالحفظ بإذن الله تعالى ومعاذ من كل شيء فسؤاله مجاب ودعاؤه غير محجوب فمن اقترب منه حلت عليه النعمة بحفظ الله تعالى له. يقول ابن حجر^(٢): (فقد استحل محاربتني... وغاية الحرب الهلاك والله لا يغلبه غالب فكأن

(١) أخرجه البخاري : ٢٣٨٤/٥.

(٢) هو: أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي العسقلاني، المحدث، الأديب، المؤرخ، الشاعر، له مصنفات عديدة منها: فتح الباري، الدرر الكامنة، ولسان الميزان، ت: ٨٥٢هـ.

المعنى فقد تعرض لإهلاكي إياه^(١). ويقول أيضاً (المعنى كنت سمعه وبصره في إشاره أمري فهو يحب طاعتي ويؤثر خدمتي كما يحب هذه الجوارح ، ثانيها: أن المعنى كليته مشغولة بي فلا يصغي بسمعه إلا إلى ما يرضيني ولا يرى ببصره إلا ما أمرته به، ثالثها: المعنى أحصل له مقاصده كأنه ينالها بسمعه وبصره ... إلخ، رابعها: كنت له في النصره كسمعه وبصره ويده ورجله في المعاونة على عدوه، خامسها: ... حافظ له سمعه الذي يسمع به فلا يسمع إلا ما يحل استماعه^(٢).

وقال الخطابي^(٣) (والمعنى توفيق الله لعبده في الأعمال التي يباشرها بهذه الأعضاء وتيسير المحبة له فيها بأن يحفظ جوارحه عليه ويعصمها عن مواقع ما يكره الله)^(٤). (وقال الخطابي أيضاً وقد يكون عبر بذلك عن سرعة إجابة الدعاء والنجاح في الطلب وذلك أن مساعي الإنسان كلها إنما تكون بهذه الجوارح المذكورة)^(٥).

(١) فتح الباري / ابن حجر: ٣٤٧/١١.

(٢) انظر: المصدر السابق : ٣٤٧/١١.

(٣) أبو سليمان الخطابي: حمد بن محمد بن إبراهيم كان عالماً وأديباً وزاهداً وورعاً وله كتب منها كتاب في غريب الحديث و شرح البخاري و شرح أبي داود والعزلة، ت: ٣٨٨هـ. انظر: يتيمة الدهر ٣٨٣/٤، وبغية الوعاة: ١/٥٤٦ - ٥٤٨.

(٤) المصدر السابق: ٣٤٧/١١.

(٥) المصدر السابق: ٣٤٧/١١.

أسباب لدفع البلاء قبل وقوعه... ————— د. منيرة بنت محمد المطلق

يظهر من الحديث السابق تهديد شديد من الله لأن من حاربه الله أهلكه^(١). كما حصل للحجاج بن يوسف^(٢) عندما قتل سعيد بن جبير الذي كان من عباد المكيين وفقهاء التابعين سنة خمس وتسعين وله تسع وأربعون سنة ذبحه على النطع^(٣) صبرا^(٤) فدعا سعيد على الحجاج فقال: اللهم لا تسلطه على أحد يقتله بعدي فعاش الحجاج بعده خمسة عشر ليلة ووقع الأكلة^(٥) في بطنه فدعا بالطبيب لينظر إليه فنظر إليه ثم دعا بلحم منتن فعلقه في خيط ثم أرسله في حلقه فتركها ساعة ثم استخرجها وقد لزق به الدم فعلم أنه ليس ب ناج وبلغنا أنه كان ينادي بقية حياته مالي

(١) فتح الباري / ابن حجر ١١ / ٣٤٧ .

(٢) هو أبو محمد الحجاج بن يوسف الثقفي كان من الأجلاف قال وكان أخفش دقيق الصوت وأول ولاية وليها تبالة احتقرها فتركها ثم تولى قتال ابن الزبير رضي الله عنه فقتله وصلبه بمكة سنة ثلاث وسبعين فولاه عبد الملك الحجاز ثلاث سنين.. وكان يصلي بالناس ويقيم لهم الموسم ثم ولاه العراق وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة فولها عشرين سنة وحطم أهلها وتوفي ٩٥ هـ بواسط ودفن بها وعفي قبره انظر: تهذيب الأسماء / النووي ١٥٨ .

(٣) النطع الفراش المصنوع من الأديم وهو الجلد المدبوغ انظر: لسان العرب / ابن منظور: ٨ / ٣٥٧ .

(٤) الصبر: الإكراه ومن حبس للقتل فقد قتل صبرا. انظر: لسان العرب / ابن منظور: ٤ / ٣٨٤ .

(٥) انظر مشاهير علماء الأمصار / البستي: ٨٢ .

(٦) (داء يقع في العضو فيأكل منه) لسان العرب / ابن منظور: ١١ / ٢٢ .

ولسعيد بن جبير كلما أردت النوم أخذ برجلي^(١).

المبحث الخامس: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

المسلم مأمور بتوقي البلاء والفتن التي تقع في الدين أو ما يصيب الأبدان من أمراض أو موت أو نقص من الأموال باتخاذ الأسباب المشروعة الدافعة لذلك والممانعة له ومن هذه الأسباب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والذي ميز الله تعالى به هذه الأمة دون غيرها من الأمم فقال سبحانه: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^(٢). ودم بني إسرائيل بقوله: ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾^(٣)، وحث الله سبحانه على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأنه من سبيل الفلاح فما من أمة كثرت موبقاتها لقلّة الأمرين بالمعروف و الناهين عن المنكر إلا كان ذلك إيذاناً من الله بقرب هلاكها يقول تعالى: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٤).

(١) انظر حلية الأولياء/ لأبي نعيم الأصبهاني: ٢٩٤ / ٤.

(٢) (سورة آل عمران، آية: ١١٠)

(٣) (سورة المائدة، آية: ٧٩).

(٤) (سورة آل عمران، آية: ١٠٤).

أسباب لدفع البلاء قبل وقوعه... ————— د. منيرة بنت محمد المطلق

أي لتكون منكم أمة منتصبة للقيام بأمر الله في الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأولئك هم المفلحون وهم خاصة الصحابة وخاصة الرواة يعني المجاهدين والعلماء وقرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾ (اتباع القرآن وستي) ^(١).

والمقصود من هذه الآية أن تكون فرقة من هذه الأمة متصدية لهذا الشأن وإن كان ذلك واجباً على كل فرد من الأمة بحسبه كما ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان). ^(٢)^(٣) فإن لم يستطع أي التغيير باليد وإزالته بالفعل لكون فاعله أقوى منه فبلسانه أي فليغيره بالقول وتلاوة ما أنزل الله من الوعيد عليه وذكر الوعظ والتخويف والنصيحة (فإن لم يستطع) فبقلبه بأن لا يرضى به وينكر في باطنه على متعاطيه فيكون تغييراً معنوياً إذ ليس في وسعه إلا هذا ^(٤) وهما واجبان على الكفاية على هذه الأمة يقول شيخ

(١) أورده ابن كثير في تفسيره : ٣٩١ / ١ .

(٢) أخرجه مسلم ٦٩ / ١ .

(٣) انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣٩١ / ١ .

(٤) عون المعبود لأبي الطيب آبادي ٣٣٠ / ١١ .

الإسلام عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: (فالدعاء إلى الله هو الدعاء إلى سبيله فهو أمر بسبيله وسبيله تصديقه فيما أخبر وطاعته فيما أمر وقد تبين أنهما واجبان على كل فرد من أفراد المسلمين وجوب فرض الكفاية لا وجوب فرض الأعيان كالصلوات الخمس بل كوجوب الجهاد والقيام بالواجبات من الدعوة الواجبة وغيرها يحتاج إلى شروط يقام بها كما جاء في الحديث ينبغي لمن أمر بالمعروف ونهى عن المنكر أن يكون فقيهاً فيما ينهى عنه فالفقه قبل الأمر ليعرف المعروف وينكر المنكر والرفق عند الأمر ليسلك أقرب الطرق إلى تحصيل المقصود والحلم بعد الأمر ليصبر على أذى المأمور المنهي فإنه كثيراً ما يحصل له الأذى بذلك ولهذا قال تعالى: ﴿يَبْنِيْ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزَمِ الْأُمُورِ﴾^(١)، وقد أمر نبينا بالصبر في مواضع كثيرة كما قال تعالى في أول المدثر ﴿فُتًّٰنًا ذَرُورَةً رَبِّكَ فَكَيْفَ ۚ (٢) وَيَا بَلَدَكَ فَنَظَرٌ (٤) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (٥) وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ (٦) وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ (٧)﴾ وقال تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ

(١) سورة لقمان، آية: ١٧ .

(٢) سورة المدثر، ٧ - ٢ .

أسباب لدفع البلاء قبل وقوعه... ————— د. منيرة بنت محمد المطلق

فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴿١﴾، وقال: ﴿وَأَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾ ^(٢) ^(٣)، وقال عمير بن حبيب وكان قد بايع النبي صلى الله عليه وسلم: (وإذا أراد أحدكم أن يأمر بالمعروف أو ينهي عن المنكر فليوطن نفسه على الصبر على الأذى وليثق بالثواب من الله تعالى فإنه من وثق بالثواب من الله عز وجل لم يضره مس الأذى) ^(٤). (فإن لم يستطع أن يقوم بالواجب ولم يقم غيره به صار الجميع مستحقين العقوبة قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه أو شك أن يعمهم الله بعقاب منه) ^(٥) وقال: (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان) ^(٦)، فلا يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأن ذلك جالب لمقت الله عز وجل وعذابه.

(١) سورة الطور، آية: ٤٨.

(٢) المزمّل: من الآية ١٠.

(٣) مجموع الفتاوى/ شيخ الإسلام ابن تيمية ١٦٧/١٥.

(٤) أخرجه الطبراني في الكبير: ٥٠/١٧، والأوسط: ٣٧٠/٢، والبيهقي في الكبرى ٩٥/١٠، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: ٢٦٦/٧: (رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات).

(٥) أخرجه: أبو داود: ٤/١٤٤، والترمذي: ٤/٤٦٧، وقال: (حديث صحيح)، والنسائي في الكبرى: ٦/٣٣٨، وابن حبان: ٢/٤٦٥، وقال أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد الحنبلي المقدسي في الأحاديث المختارة: ١/١٤٧: (رواه أحمد بن منيع وعبد بن حميد عن يزيد بن هارون في مسنديهما إسناده صحيح).

(٦) سبق تخريجه.

ومن العقوبات التي تترتب على ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

١ - اللعن من الله

٢ - السحت بالعذاب

٣ - تأمير شرار القوم

٤ - ضرب القلوب بعضها ببعض .

قال صلى الله عليه وسلم: (والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على أيدي المسيء ولتأطرنه ^(١) على الحق أطراً أو ليضربن الله بقلوب بعضكم على بعض ويلعنكم كما لعنهم) ^(٢). وقال ﷺ: (لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتحاضن على الخير أو ليسحتنكم ^(٣) الله جميعاً بعذاب أو ليؤمرن عليكم شراركم ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لكم) ^(٤). وقال صلى الله عليه وسلم: (والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف وتنهون عن المنكر أو ليوشك الله أن يبعث عليكم عقاباً منه ثم تدعون فلا يستجاب لكم) ^(٥)، فالأمر بالمعروف

(١) تأطرنه: (أي تعطفوه عليه) النهاية / ابن الأثير ٥٣/١.

(٢) أخرجه أبو داود: ١٢٢/٤، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: ٢٦٩/٧ (رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح).

(٣) يسحتكم: يقول ابن منظور في لسان العرب ٤١/٢: (السحت العذاب سحتناهم بلغنا مجهودهم في المشقة عليهم .. وأسحت الرجل استأصل ما عنده).

(٤) أخرجه أحمد: ٣٩٠/٥، والطبراني في الأوسط: ٩٩/٢، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٦٦/٧: (رواه الطبراني في الأوسط والبزار وفيه حيان بن علي وهو متروك وقد وثقه ابن معين في رواية وضعفه في غيرها).

(٥) أخرجه الترمذي: ٤٦٨/٤، وقال (حديث حسن)، وابن ماجه: ١٣٢٧/٢، وأحمد: ٣٩١/٥، والبيهقي في الكبرى: ٩٣/١٠، وقال الألباني في: سنن الترمذي ٣٠٢١٦٩=

أسباب لدفع البلاء قبل وقوعه... ————— د. منيرة بنت محمد المطلق

والنهي عن المنكر يدفع العذاب والتقاعس عنه يوجب غضب الله عز وجل ومعلوم أن من أسباب رفع البلاء الدعاء لكن من تهاون بالأمر بالمعروف فحل به البلاء فإن دعاءه لرفع هذا البلاء محجوب يقول السيوطي: (قبل أن تدعو فلا يستجاب لكم) أي قبل أن ينزل عليكم البلاء بسبب المعاصي. وفيه إشعار أنه لا بد للعلماء أن يأمرُوا بالمعروف وينهوا عن المنكر وإلا فهم أيضاً شركاء في الوزر^(١).

(لكن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يكون على بصيرة وله شروط وعلى درجات)^(٢).

وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم صفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومراتبه يقول الإمام النووي^(٣): (وأما صفة النهي ومراتبه فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث الصحيح: (فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه)^(٤) فقوله صلى الله عليه وسلم (فبقلبه) معناه فليكرهه بقلبه وليس ذلك بإزالة وتغيير منه للمنكر ولكنه هو

= (حسن) ، وفي رواية: (ليسلطن عليكم شراركم) أخرجه أحمد : ٣٩٠ / ٥ ،

و الطبراني في الأوسط : ٩٩ / ٢ ، ٣٨٨ / ٥ .

(١) شرح سنن ابن ماجه / السيوطي : ٢٨٩ .

(٢) انظر مجموع الفتاوى / ابن تيمية : ٢٢ / ٣٢ ، ٣٢ / ٣٥ ، ٤٧٢ / ١٤ .

(٣) هو الإمام الحافظ القدوة شيخ الإسلام أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي

الشافعي . عالم بالفقه والحديث من كتبه : شرح صحيح مسلم ورياض الصالحين ت : ٦٧٦ هـ .

انظر : تذكرة الحفاظ / محمد القيسراني : ٤ : ١٤٧٠ ، وطبقات المحدثين / الذهبي : ٢١٥ .

(٤) سبق تخريجه .

الذي في وسعه وقوله صلى الله عليه وسلم (وذلك أضعف الإيمان) معناه والله أعلم أقله ثمرة قال القاضي عياض^(١) رحمه الله هذا الحديث أصل في صفة التغيير فحق المغير أن يغيره بكل وجه أمكنه زواله به قولاً كان أو فعلاً فيكسر آلات الباطل ويريق المسكر بنفسه أو يأمر من يفعله وينزع الغصوب^(٢) ويردها إلى أصحابها بنفسه أو بأمره إذا أمكنه ويرفق في التغيير جهده بالجاهل وبذي العزة الظالم المخوف شره إذ ذلك أدعى إلى قبول قوله كما يستحب أن يكون متولي ذلكم من أهل الصلاح والفضل لهذا المعنى ويغلظ على المتماذي في غيه والمسررف في بطالته إذا أمن أن يؤثر إغلاظه بأشد مما غيره لكون جانبه محمياً عن سطوة الظالم فإن غلب على

(١) هو: أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي الإمام العلامة يكنى أبا الفضل سبتي الدار والميلاد أندلسي الأصل كان إمام وقته في الحديث والتفسير وكان فقيها أصولياً عالمياً بالنحو واللغة وأيام العرب وأنسابهم، حافظاً لمذهب مالك رحمه الله تعالى شاعراً وخطيباً بليغاً صبوراً حليماً جميل العشرة جواداً سمحاً كثير الصدقة دؤوباً على العمل صلباً في الحق وهو من أهل التفنن في العلم واليقظة والفهم رحل إلى الأندلس لطلب العلم وقد ولي قضاء سبته وغرناطة وله تصانيف عديدة منها إكمال المعلم في شرح صحيح مسلم وكتاب الشفا وكتاب مشارق الأنوار. توفي في مراكش: ٥٤٤ هـ. انظر: طبقات الشافعية الكبرى ج ٧/ص ٢٢٥، والديباج المذهب ج ١/ص ١٦٨-١٧٠..

(٢) أي المال الذي أخذ عنوة وبالقوة يقول ابن منظور في لسان العرب ج ١/ص ٦٤٨: (الغصب أخذ الشيء ظلماً غصب الشيء يغصبه غصباً و اغتصبه فهو غاصب و غصبه على الشيء قهره و غصبه منه (و) الغصب وهو أخذ مال الغير ظلماً وعدواناً).

أسباب لدفع البلاء قبل وقوعه... د. منيرة بنت محمد المطلق

ظنه أن تغييره بيده يسبب أشد منه من قتله أو قتل غيره بسببه كف يده واقتصر على القول باللسان والوعظ والتخويف فإن خاف أن يسبب قوله مثل (ما تسببه يده) فقلبه وكان في سعة وهذا هو المراد بالحديث إن شاء الله تعالى وإن وجد من يستعين به على ذلك استعان ما لم يؤد ذلك إلى إظهار سلاح وحرب وليرفع ذلك إلى من له الأمر إن كان المنكر من غيره أو يقتصر على تغييره بقلبه هذا هو فقه المسألة وصواب العمل فيها عند العلماء والمحققين خلافاً لمن رأى الإنكار بالتصريح بكل حال وإن قتل ونيل منه كل أذى هذا آخر كلام القاضي رحمه الله قال إمام الحرمين رحمه الله ويسوغ لأحد الرعية أن يصد مرتكب الكبيرة إن لم يندفع عنها بقوله ما لم ينته الأمر إلى نصب قتال وشهر سلاح^(١). وإلى ذلك ذهب شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بقوله: (ترك الإنكار باليد أو بالسلاح إذا كان فيه مفسدة راجحة على مفسدة المنكر)^(٢).

فالواجب على العبد (أن يفرق بين ما يفعل الإنسان ويأمر به ويبيحه وبين ما يسكت عن نهْي غيره عنه وتحريمه عليه فإذا كان من المحرمات ما لو نهى عنه حصل ما هو أشد تحريماً منه لم ينه عنه ولم يبيحه أيضاً ولهذا لا يجوز إنكار المنكر بما هو أنكر منه ولهذا حرم الخروج على ولاة الأمر بالسيف لأجل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأن ما يحصل بذلك

(١) شرح النووي على صحيح مسلم: ٢٥/١.

(٢) مجموع الفتاوى / ابن تيمية: ٣٢/٣٥.

من فعل المحرمات وترك واجب أعظم مما يحصل بفعلهم المنكر والذنوب (١).

المبحث السادس: الحمد باللسان عند رؤية المبتلى:

لقد أرشد النبي - صلى الله عليه وسلم - المسلم إلى ما يدفع عنه البلاء النازل بأحد من الناس فقال: (من رأى صاحب بلاء فقال الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به وفضلني على كثير ممن خلق تفضيلاً إلا عوفي من ذلك البلاء كائناً ما كان، ما عاش) (٢)، والابتلاء في الحديث شامل لما يصيب البدن والدين وإن أشد البلاء على الناس الابتلاء في الدين، لأن المسلم إذا أصابه بلاء في بدنه فصبر كان خيراً له، وإن لم يصبر فإن إثمه لا يصل إلى إثم المصيبة في الدين يقول المباركفوري (٣): (صاحب بلاء) أي: مبتلى في أمر بدني كبرص وقصر فاحش أو طول مفرط أو عمى أو عرج أو اعوجاج يد ونحوها أو ديني بنحو فسق وظلم وبدعة وكفر وغيرها. (الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به) فإن العافية أوسع من البلية لأنها مظنة

(١) المصدر السابق: ٤٧٢/١٤.

(٢) أخرجه الترمذي: ٤٩٣/٥، وابن ماجه: ١٢٨١٢/٥، والطبراني في الأوسط: ٢٨٣/٥،

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: (رواه الترمذي باختصار رواه البزار والطبراني في الصغير والأوسط بنحوه وإسناده حسن)، وقال الإمام ابن القيم في جلاء الأفهام:

٧٨/١ (إسناده حسن).

(٣) هو الحافظ أبو المعلم محمد عبد الرحمن المباركفوري، نسبة إلى مباركفور قرية كبيرة في الهند ولد عام ١٢٨٣، ت: ١٣٥٣ هـ. انظر: مقدمة كتابه تحفة الأحوذى: ط/٢.

أسباب لدفع البلاء قبل وقوعه... د. منيرة بنت محمد المطلق

الجزع والفتنة وحينئذ تكون محنة أي محنة (والمؤمن القوي أحب إلى الله من المؤمن الضعيف) ^(١) (وفضلني على كثير ممن خلق تفضيلاً) أي في الدين والدنيا والقلب والقالب (إلا عوفي من ذلك البلاء) أي لم ير أحد صاحب بلاء فقال الحمد لله الذي عافاني الخ إلا عوفي من ذلك البلاء.. (كائناً ما كان) أي حال كون ذلك البلاء أي بلاء كان (ما عاش) أي مدة بقائه في الدنيا ^(٢)، ولكن بعض الناس إذا رأى المبتلى سواء كان في دينه أو بدنه استهزأ به وقام يعدد معاصيه ومعاييه ومثالبه وما ابتلي به في دينه ودنياه.

فيقع ذلك بأنفسهم أو ذريتهم. وكانوا بعافية من ذلك لو حمدوا الله عز وجل وكفوا عن الاستهزاء والتنقيص للغير .

المبحث السابع: صلة الرحم والبعد عن الظلم:

ومما يدفع البلاء البعد عن قطيعة الرحم وظلم الخلق: فالواجب على الإنسان أن يدفع البلاء عن نفسه بالأسباب المشروعة والتي منها البعد عن البغي وقطيعة الرحم لأن الله حرم ذلك قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ

(١) جزء من حديث أخرجه مسلم : ٢٠٥٢ / ٤ .

(٢) تحفة الأحوذى / المباركفوري: ٢٧٥/٩.

مَا لَمْ يُزَلَّ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْمُونَ ﴿١﴾ والبغي هو: الظلم، والعدوان على الخلق سواء كان باللسان أو اليد أو الرجل أو غيرها من الجوارح، قال ابن كثير: (أما البغي فهو العدوان على الناس) ^(٢)، فعلى الإنسان أن يوطن نفسه بالقيام بالعدل حتى تستقيم أموره. يقول شيخ الإسلام: (ولهذا قيل إن الله يقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة ولا يقيم الظالمة وإن كانت مسلمة ويقال الدنيا تدوم مع العدل والكفر ولا تدوم مع الظلم والإسلام، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم (ليس ذنب أسرع عقوبة من البغي وقطيعة الرحم) ^(٣) فالباغي يصرع في الدنيا وإن كان مغفوراً له مرحوماً في الآخرة وذلك أن العدل نظام كل شيء فإذا أقيم أمر الدنيا بالعدل قامت وإن لم يكن لصاحبها في الآخرة من خلاق) ^(٤) (فإن الباغي مصرعه وخيم والعدل واجب لكل أحد على كل أحد في كل حال وإنما أرسل الرسل وأنزل الكتب ليقوم الناس بالعدل) ^(٥) لذلك

(١) سورة الأعراف، الآية: ٣٣ .

(٢) تفسير القرآن العظيم/ ابن كثير: ٥٨٣/١، وانظر: تفسير الجلالين/ المحلي والسيوطي: ١٦٧/١.

(٣) أخرجه الترمذي بلفظ: (ما من ذنب أجدر أن يعجل الله في الدنيا عقوبته مع ما يدخر لصاحبه في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم) وقال: (حديث حسن صحيح) ، وأبو داود: ٢٧٦/٤ ، وابن ماجه: ١٤٠٨/٢ ، وابن حبان: ٢٠٠٠/٢ وقال شعيب الأرنؤوط: (إسناده صحيح)، والحاكم: ٣٨٨ / ٢ ، وقال: (صحيح الإسناد ولم يخرجاه)، وتابعه الذهبي.
(٤) الاستقامة /ابن تيمية: ٢ / ٢٤٧ ، وانظر تلييس الجهمية/ ابن تيمية : ١ / ١٣٧
(٥) الصفدية / ابن تيمية: ٢ / ٣٢٧ .

أسباب لدفع البلاء قبل وقوعه... ————— د. منيرة بنت محمد المطلق

فعاقة الظلم تحيط بالظالم إما بنفسه، أو ولده أو ماله أو عرضه. يقول عبد الله بن مسعود^(١) رضي الله عنه: (إن البغي يصرع أهله وإن على الباغي تدور الدوائر) ويشهد لهذا قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا بِغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ مَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾^(٢) قال ابن عباس إنا نجد في كتاب الله ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾^(٣) ويجري على الألسنة أيضاً من حفر بئراً لأخيه أوقعه الله فيه قال الشاعر:

قضى الله أن البغي يصرع أهله وأن على الباغي تدور الدوائر
ومن يحتفر بئراً ليقع غيره سيوقع في البئر الذي هو حافر^(٤)
يقول الزهري: (ما بقي أحد من قتلة الحسين إلا عوقب في الدنيا فهذا ممكن وأسرع الذنوب عقوبة البغي والبغي على الحسين من أعظم البغي)^(٥)
وقال صلى الله عليه وسلم: ((ما من ذنب أجدر أن يعجل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخره له في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم))^(٦)، وفي

(١) هو أبو عبد الرحمن عبد الله بن مسعود الهذلي، حليف بني زهرة، من أكابر الصحابة وفقهائهم وأول من جهر بقراءة القرآن ت: ٣٢٢هـ. سير أعلام النبلاء/ الذهبي: ٢٥/١٠.

(٢) سورة يونس، آية: ٢٣ .

(٣) سورة فاطر، آية: ٤٣ .

(٤) كشف الخفاء / العجلوني: ٣٢١/٢.

(٥) منهاج السنة النبوية / ابن تيمية: ٥٦٠/٤.

(٦) سبق تخريجه.

رواية: (امري)، وسبب تخصيص البغي وقطيعة الرحم بتعجيل العقوبة لصاحبهما ما نراه في قول شيخ الإسلام: (إن ما كان من الذنوب يتعدى ضرره فاعله عجلت لصاحبه العقوبة في الدنيا تشريعاً وتقديراً ولهذا قال: ((ما من ذنب أحرى أن تعجل لصاحبه العقوبة من البغي وقطيعة الرحم)) لأن تأخير عقوبته فساد لأهل الأرض بخلاف ما لا يتعدى ضرره فاعله فإنه قد تؤخر عقوبته^(١). وقوله صلى الله عليه وسلم (ما من ذنب) ما نافية ومن زائدة للاستغراق (أجدر) أي أحرى أن يعجل الله (صلة) أجدر على تقدير الباء أي بتعجيله سبحانه (لصاحبه) أي لمرتكب الذنب (العقوبة) مفعول يعجل (مع ما يدخر) بتشديد الدال المهملة وكسر الخاء المعجمة أي مع ما يؤجل من العقوبة له أي لصاحب الذنب (من البغي) أي من بغي الباغي وهو الظلم أو الخروج على السلطان .. (ومن) تفضيلية (وقطيعة الرحم) أي ومن قطع صلة ذوي الأرحام^(٢)، فالمسلم العاقل يتعد عن قطيعة الرحم ويترك الظلم لأن عقوبته عاجلة فكيف إذا انضم إلى ذلك دعاء المظلوم عليه فيحل به العذاب قال صلى الله عليه وسلم: (ثلاث دعوات مستجابات دعوة المظلوم، ودعوة المسافر، ودعوة الوالد على ولده)^(٣).

(١) الصارم المسلول / ابن تيمية: ٤٥٦/٢.

(٢) تحفة الأحوذى/المباركفوري: ١٨١/٧.

(٣) سبق تخريجه.

أسباب لدفع البلاء قبل وقوعه... ————— د. منيرة بنت محمد المطلق

وروى أبو يعلى^(١) أن عمر رضي الله عنه بعث رجلاً يسألون عن سعد ابن أبي وقاص — رضي الله عنه — بالكوفة فكانوا لا يأتون مسجداً من مساجد أهل الكوفة إلا قالوا: خيراً أو أثنوا خيراً حتى أتوا مسجداً من مساجد بني عبس^(٢) فسألوا فقال رجل منهم: أما إذ نشدتمونا بالله فإنه كان لا يعدل في القضية ولا يقسم بالسوية ولا يسير بالسرية فقال سعد: اللهم إن كان كاذباً فأعم بصره وأطل عمره وعرضه للفتن، فكان بعد يتعرض للإماء في السكك فإذا سئل كيف أنت يقول: كبير مفتون أصابتنني دعوة سعد).

ودعوة المظلوم مستجابة وإن كان فاجراً قال صلى الله عليه وسلم: (دعوة المظلوم مستجابة وإن كان فاجراً، ففجوره على نفسه)^(٣)، ومن البغي تتبع عورات الناس، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فإنه

(١) أبو يعلى الموصلي الحافظ الثقة محدث الجزيرة أحمد بن علي بن المشي بن يحيى بن عيسى بن هلال التيمي صاحب المسند الكبير، ت: ٣٠٠هـ انظر: طبقات الحفاظ: ١ / ٣٠٩.

(٢) اسم القبيلة التي ينسب إليها عنترة العبسي، وهي بنجد انظر: معجم البلدان/الحموي ٤ / ٧٨.

(٣) أخرجه أحمد: ٣٦٧/٢، وابن أبي شيبة في مصنفه: ٤٨/٦ وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/١٥٨: (رواه أحمد والبخاري بنحوه وإسناده حسن) وكذلك قال المنذري في الترغيب: ٣/١٣٠، والعجلوني ١/٤٨٨، وابن حجر في الفتح ٣/٣٦٠.

من اتبع عوراتهم يتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه في جوف بيته^(١) ودعوة المظلوم مستجابة ليس بينها وبين الله حجاب.

فالمسلم الذي يريد حماية عرضه و الحريص على العافية في دينه وبدنه وولده وماله عليه أن يكف عن أعراض الناس .

ويذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن من أسباب البغي الحسد والبغض لأنه يكره أولاً فضل الله على المحسود ثم ينتقل البغض إلى صاحب النعمة^(٢). فإذا أنعم الله على أخيك نعمة فلك فيها حالتان، إحداهما: أن تكره تلك النعمة وتحب أو تسعى لزوالها وهذه الحالة تسمى حسداً.

الثانية: ألا تحب زوالها ولا تكره وجودها ودوامها له ولكنك تريد لنفسك مثلها فهذا يسمى غبطة، فالأول حرام على كل حال إلا نعمة على كافر أو فاجر وهو يستعين بها على تهيج الفتنة وإفساد ذات البين وإيذاء العباد فهذه لا يضررك كراحتك لها ولا محبتك زوالها فإنك لم تحب زوالها من حيث هي نعمة بل من حيث هي آلة للفساد. ووجه تحريم الحسد مع ما علم من الأحاديث أنه تسخط لقدر الله تعالى وحكمته في تفضيل بعض عباده على بعض ولذا قيل:

(١) أخرجه أبو داود: ٢٧٠/٤، وأحمد: ٤٢٠/٤، وأبو يعلى في المسند: ٢٣٧/٣ وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: ٨٧/٨: (رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير ميمون بن عجلان وهو ثقة)، وقال أيضاً في مجمع الزوائد ٩٣/٨: (رواه أبو يعلى ورجاله ثقات).
(٢) انظر: أمراض القلوب / ابن تيمية: ٢٢/١، ومجموع الفتاوى: ١٢٦/١٠.

أسباب لدفع البلاء قبل وقوعه... ————— د. منيرة بنت محمد المطلق

ألا قل لمن كان لي حاسداً أتدري على من أسأت الأدب
أسأت على الله في فعله لأنك لم ترض لي ما وهب^(١) ^(٢)
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ثلاثة لا يسلم منهم أحد الطيرة
والظن والحسد قيل فما المخرج منهم؟ قال: إذا تطيرت فلا ترجع وإذا
ظننت فلا تحقق وإذا حسدت فلا تبغ)^(٣)، أي ((إذا حسدت)) أي تمنيتم

(١) أورده القرطبي في تفسيره: ٢٥١/٥، والعجلوني في الكشف: ٤٣١/١. وهو لمنصور الفقيه .

(٢) سبل السلام / الصنعاني: ٣٤٩/٤-٣٥٠ .

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير: ٢٢٨/٣، والمحاملي في الأمالي: ٣٢١/١، وابن أبي الدنيا ٢٢٧،

وأورده ابن كثير في تفسيره: ٢١٤/٤، بلفظ [ثلاث لازمت لأمتي... فإذا حسدت فاستغفر الله]

وقال ابن حجر في فتح الباري: ٢١٣/١٠. (هذا مرسل أو معضل لكن له شاهد من حديث أبي

هريرة أخرجه البيهقي في الشعب وأخرج ابن عدي بسند لين عن أبي هريرة رفعه (إذا تطيرتم

فامضوا وعلى الله فتوكلوا) وأخرج الطبراني عن أبي الدرداء رفعه (لن ينال الدرجات العلا، من

تكهن أو استقسم أو رجع من سفر تطيرا). ورجاله ثقات إلا أنني أظن أن فيه انقطاعاً وله شاهد عن

عمران بن حصين وأخرجه البزار في أثناء الحديث بسند جيد وأخرج أبو داود والترمذي وصححه

هو وابن حبان عن ابن مسعود رفعه (الطيرة شرك وما منا إلا ولكن الله يذهب بالتوكل وقوله:) وما

منا إلا) من كلام ابن مسعود أدرج في الخبر، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: ٧٨/٨ (رواه

الطبراني وفيه إسماعيل بن غيث الأنصاري وهو ضعيف، وقال المناوي في الفيض: ٣٣/١، ٣٠٤

(وقال الهيثمي فيه موسى بن محمد بن حاطب لأعرفه وبقيه رجاله ثقات). وذكر شاكر الشريف

محقق الداء والدواء للإمام ابن القيم ص ٤٥ أنه من مرتبة الحسن لغيره.

زوال نعمة الله على من أنعم عليه فلا تبغوا أي لا تتعدوا وتفعلوا بمقتضى
التمني فمن خطر له ذلك فليبادر إلى استكراهه كما يكره ما طبع عليه من
حب المنهيات. وقدم الإعلام بدواء الحسد على ما بعده اهتماما لشدة
البلاء به لأن الإنسان غيور حسود بالطبع فإذا نظر إلى ما أنعم الله به على
غيره حملته الغيرة والحسد على الكفران والعدوان وقد تضمن الحديث أن
الخصال الرذائل مركوزة في جبلة الإنسان إما بالعقل أو بالشرع^(١)، ويقول
الحسن البصري^(٢): (ما من آدمي إلا وفيه الحسد فمن لم يجاوز ذلك إلى
البغي والظلم لم يتبعه منه شيء)^(٣) لأن الحسد مغروس في قلوب الناس
لكن القوي من تغلب عليه ولم يعمل به فلم يصب بعينه المحسود ولم

(١) انظر فيض القدير/المناوي: ٣٣٠/١.

(٢) هو الحسن بن أبي الحسن يسار أبو سعيد مولى زيد بن ثابت الأنصاري، يقال إن والد
الحسن من سبى ميسان، وكانت أم سلمة تبعث أم الحسن في الحاجة فيبكي وهو طفل،
فتسكته أم سلمة بثديها وتخرجه إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
صغير، وكانت أمه منقطعة إليها فكانوا يدعون له فأخرجته إلى عمر فدعا له وقال: اللهم
فقهه في الدين وحببه إلى الناس، فكان من سادات التابعين وأفتى في زمن الصحابة وقد
كان بالغ الفصاحة وبلغ المواعظ كثير العلم بالقرآن ومعانيه قال قتادة كان الحسن من
أعلم الناس بالحلال والحرام، عاش نحو من ثمان وثمانين سنة ت: ١١٠. انظر: سير
أعلام النبلاء/الذهبي: ٤ / ٥٦٣، وطبقات المفسرين للداودي: ١٣/١، وأخبار القضاة/
ابن حيان: ٣/٢

(٣) فتح الباري / ابن حجر: ٤٨٢/١٠.

أسباب لدفع البلاء قبل وقوعه... ————— د. منيرة بنت محمد المطلق

يتسلط ويتطاول عليه بلسانه ويحاول منع الخير عنه ولم يبطش به بيده
فلعل الله يرحمه ويدفع عنه الأذى في الدنيا والآخرة. وروي عنه عليه السلام :
(كل بني آدم حسود ^(١)) ولا يضر حاسداً حسده ما لم يتكلم باللسان أو
يعمل باليد) وقال (كل بني آدم حسود وبعض الناس أفضل في الحسد من
بعض ولا يضر حاسداً حسده ما لم يتكلم باللسان أو يعمل باليد) ^(٢) وإنما

(١) وفي رواية: (لا يخلو جسد من حسد، أو ما خلا جسد) أورده السخاوي في المقاصد الحسنة
٥٧٩/١ وقال: (حديث) (ما خلا جسد من حسد) لم أقف عليه بلفظه، ولكن معناه عند أبي موسى
المديني في نزهة الحفاظ له من طريق خلف بن موسى العمي عن أبيه عن قتادة عن أنس رفعه (كل
بني آدم حسود وبعض أفضل في الحسد من بعض، ولا يضر حاسداً حسده ما لم يتكلم باللسان أو
يعمل باليد) وسنده ضعيف وهو عندنا أيضاً مسلسل بجماعة يسمون خلفاً في علوم الحديث
للحاكم ويعلو في فوائد إسحاق الصابوني، ولابن أبي الدنيا في ذم الحسد له بسند ضعيف وكذا
أخرجه ابن أبي الدنيا أيضاً من وجه آخر مرسل ضعيف للطبراني من حديث حارثة بن النعمان
نحوه وقد بسطت الكلام عليه فيما كتبه من شرح الترمذي (والعجلوني في الكشف: ٥١١/٢،
٢٤٣/٢، ٢٤٣/٢، والقارئ في المصنوع: ٤٣١/١ / ١٦٠/١).

(٢) أورده السخاوي في المقاصد الحسنة ٥٧٩/١ وقال: حديث (كل بني آدم حسود وبعض
أفضل في الحسد من بعض ولا يضر حاسداً حسده ما لم يتكلم باللسان أو يعمل باليد)
وسنده ضعيف وهو عندنا أيضاً مسلسل بجماعة يسمون خلفاً في علوم الحديث للحاكم، ويعلو
في فوائد إسحاق الصابوني ولابن أبي الدنيا في ذم الحسد له بسند ضعيف، وكذا أخرجه ابن أبي
الدنيا أيضاً من وجه آخر مرسل ضعيف للطبراني من حديث حارثة بن النعمان نحوه، وقد
بسطت الكلام عليه فيما كتبه من شرح الترمذي (والهندي في كنز العمال ١٨٦/٣ وقال أحمد
العزي في الجد الحثيث ١٩٧/١): (وسنده ضعيف وفي الباب غيره).

كان كل آدمي حسوداً لأن الفضل يقتضي الحسد بالطبع فإذا نظر الإنسان إلى من فضل عليه في مال أو علم أو غيرهما لم تملكه نفسه عن أن يحسده فإن بادر بكفها انكف وإلا سقط في مهاوي الهلكة ولا يفقد شخص الإصابة بالحسد إلا إذا فقد الخير أجمع ولذلك قال بعض الشعراء:

إن العرائن^(١) تلقاها محسدة ولا ترى للثام الناس حساداً.^(٢)
وقال أبو تمام^(٣) (وذو النقص في الدنيا بذى الفضل مولع)^(٤).
وقال البحتري^(٥)

لا تحسدوه فضل رتبته التي أعيت عليكم وافعلوا كفعاله^(٦)
ونبه بهذا الحديث على أن سبب الحسد خبث النفس وأنه داء جبلي مزمن قل من يسلم منه^(٧)، لكن المسلم إن وقع له الخاطر بالحسد فدفعه

(١) (عرانين) أي: رؤساء الناس لسان العرب / ابن منظور: ١ / ٣٣٢.

(٢) الحماسة البصرية / صدر الدين علي بن الحسن البصري: ١ / ١٤١، والبيت لعمر بن لجأ التيمي.

(٣) أبو تمام الطائي حبيب بن أوس شاعر زمانه، وصاحب الحماسة، ت: ٢٢٦هـ، وهو ابن خمس وثلاثين سنة. انظر: سير أعلام النبلاء / الذهبي: ١١ / ٤٨٣، الوفيات / القسطنطي: ١٦٨.

(٤) ديوان أبي تمام: ٥٨٣.

(٥) كان شاعر وقته وصاحب الديوان المشهور أبو عبادة الوليد بن عبيد بن يحيى الطائي البحتري. عاش نيفاً وسبعين سنة ونظمه في أعلى الذروة وقيل سئل أبو العلاء المعري من أشعر الثلاثة أبو تمام والبحتري والمتنبى فقال حكيمان والشاعر البحتري ت: ٢٨٥. انظر: سير أعلام النبلاء / الذهبي ج: ١٣ ص: ٤٨٦ - ٤٨٧.

(٦) محاضرات الأدباء ١ / ٣١٧.

(٧) انظر: فيض القدير / المناوي: ١٦ / ٥.

أسباب لدفع البلاء قبل وقوعه... _____ د. منيرة بنت محمد المطلق

وجاهد نفسه في دفعه فلا إثم عليه بل لعله مأجور في مدافعة نفسه. فإن سعى في زوال نعمة المحسود فهو باغ وإن لم يسع ولم يظهره لمانع العجز فإن كان بحيث لو أمكنه لفعل فهو مأزور وإلا فلا وزر عليه لأنه لا يستطيع دفع الخواطر النفسانية فيكفيه في مجاهدتها ألا يعمل بها ولا يعزم على العمل بها فإن كان بحيث لو ألقى الأمر إليه ورد إلى اختياره لسعى في إزالة النعمة فهو حسود حسداً مذموماً وإن كان تزعه التقوى عن إزالة ذلك فيعفى عنه ما يجده في نفسه من ارتياحه إلى زوال النعمة عن محسوده مهما كان كارهاً لذلك من نفسه بعقله ودينه، وفي الزواجر لابن حجر الهيتمي^(١): أن الحسد مراتب وهي: الأولى: إما محبة زوال نعمة الغير وإن لم تنتقل إلى الحاسد وهذا غاية الحسد.

الثانية: محبة انتقال النعمة إليه .

الثالثة: محبة انتقال مثلها إليه . وهذا الأخير هو المعفو عنه من الحسد

(١) هو: شهاب الدين أحمد بن حجر المكي الهيتمي كان أعظم فقهاء دهره. له مؤلفات منها: شرح الشرائع للترمذي وشرح الأربعين للنووي وشرح المشكاة والزواجر عن اقتراف الكبائر، والصواعق المحرقة في الرد على أهل الرفض والضلال والزندقة، (وكان له تعصب على شيخ الإسلام ابن تيمية شديد عفا الله عنه ما جناه) ت: ٩٧٣هـ. أبجد العلوم / صديق بن حسن القنوجي: ٣ / ١٦٤، وانظر كشف الظنون/مصطفى الحنفي: ١ / ٥٧.

إن كان في الدنيا والمطلوب إن كان في الدين^(١) وعليه حمل ما رواه الشيخان^(٢) من حديث ابن عمر أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار ورجل آتاه الله مالا فهو ينفق منه آناء الليل وآناء النهار).^(٣) وقد أخبر - الرسول صلى الله عليه وسلم - أن القوي هو الذي يستطيع السيطرة على مشاعره ويملك زمام نفسه فقال: (ليس الشديد بالصرعة وإنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب)^(٤). فلا يتمادى في حسد أخيه وأذيته، فإن المتأذي هو الحاسد لا غير سواء من ناحية دينه أو دنياه لقوله صلى الله عليه وسلم : ((إياكم والحسد فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب))^(٥). وهو أول ذنب عصي الله به فكانت نتيجة ذلك خروج آدم من الجنة وطرده إبليس من رحمة الله والجنة وكذلك لا يغيب عن البال أن أول قتيل من ذرية آدم كان بسبب الحسد فهو أول ذنب في

(١) انظر: الزواجر/ابن حجر المكي: ١١٢/١.

(٢) أخرجه البخاري: ٢٧٣٧/٦، مسلم: ٥٥٨/١.

(٣) انظر: سبل السلام / الصنعاني: ٣٥٠/٤.

(٤) أخرجه البخاري: ٥١٨/١٠، ومسلم: ٢٠١٤/٤.

(٥) أخرجه أبو داود: ٢٧٦/٤، وابن ماجه: ١٤٠٨/٢، وقال العراقي في المغني عن حمل الأسفار ٣٢/١ (أبو داود من حديث أبي هريرة وقال البخاري لا يصح وهو عند ابن ماجه من حديث أنس بإسناد ضعيف وفي تاريخ بغداد بإسناد حسن).

أسباب لدفع البلاء قبل وقوعه... د. منيرة بنت محمد المطلق

السماء وأول ذنب في الأرض، ثم لا ننسى عاقبة الباغي في الدنيا كما سبق في الحديث^(١).

فالرسول - صلى الله عليه وسلم - يحذر من الحسد بلفظ (إياكم والحسد) لأنه قلق النفس من رؤية النعمة على الغير وهو اعتراض على الحق ومعاندة له ومحاولة لنقض ما فعله وإزالة فضله عما أهله له ومن ثم قال (فإن الحسد يأكل الحسنات) أي يذهبها ويحرقها ويمحو أثرها (كما تأكل النار الحطب) أي اليابس لأنه يفضي بصاحبه إلى اغتيال المحسود وشتمه وقد يتلف ماله أو يسعى في سفك دمه وكل ذلك مظالم يقتص منها في الآخرة ويذهب في عوض ذلك حسنات .

قال الغزالي^(٢) الحاسد جمع لنفسه بين عذابين لأن حسده على نعمة الدنيا وكان معذباً بالحسد وما قنع بذلك حتى أضاف إليه عذاباً في الآخرة فقصد محسوده فأصاب نفسه وأهدى إليه حسناته فهو صديقه وعدو نفسه وربما كان حسده سبب انتشار فضل محسوده فقد قيل:

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيما جاورت ما كان يعرف طيب نشر العود^(٣)

(١) سبق تخريجه.

(٢) هو: أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الطوسي الشافعي الغزالي صاحب الذكاء المفرط تفقه ببلده أولاً ثم تحول إلى نيسابور كان كريم الأخلاق، ت: ٦١٥ هـ بيهقارى، انظر: سير أعلام النبلاء/الذهبي: ١٩ / ٣٢٢-٣٣٨، و أبجد العلوم : ٣ / ١١٢ .

(٣) البيتان لأبي تمام أورده العجلوني في الكشف: ٤٣١/١، وانظر: مرآة الجنان/اليافعي: ١٢٧/٢ .

فهو في هم ومحسوده في راحة قال الحسن: (ما رأيت ظالماً أشبه بمظلوم من حاسد نفس دائم وحزن لازم وعبرة لا تنفذ)^(١). فأنى له الراحة النفسية أو الجسدية يقول الأحنف بن قيس^(٢): (خمس هن كما أقول لا راحة لحسود ولا مروءة لكذوب ولا وفاء لمملوك ولا حيلة لبخيل ولا سؤدد لسيء الخلق)^(٣). فالحاسد جاحد لا يرضى بقضاء ولا يقنع بعطاء (وفي بعض الكتب الإلهية الحاسد عدو نعمتي)^(٤)، وقد قال عبد الله بن مسعود: (لا تعادوا نعم الله قيل له ومن يعادي نعم الله قال الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله. يقول الله تعالى: في بعض الكتب (الحسود عدو نعمتي متسخط غير راض)^(٥)، فحتى يندفع البلاء عن المسلم عليه أن يتعد عن الحسد وأن يصل رحمه ولا يظلم أحداً كائناً من كان وعلى أية حال، وأن يحسن للناس وبالأخص جيرانه ويعامل الخلق معاملة حسنة من

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان: ٢٧٣/٥ ، وأورده العجلوني في الكشف: ٤٣١/١، و القرطبي في تفسيره: ٢٥١/٥ عن الحسن.

(٢) الأحنف بن قيس بن معاوية بن حصين الأمير الكبير العالم النبيل أبو بحر التميمي أحد من يضرب بحلمه وسؤدده المثل. اسمه ضحاك، واشتهر بالأحنف لحنف رجله وهو العوج والميل كان سيد تميم أسلم في حياة النبي ﷺ ووفد على عمر حدث عن عمر وعلي وأبي ذر والعباس وابن مسعود وعثمان بن عفان. ت: ٦٧هـ. انظر: سير أعلام النبلاء/ الذهبي: ٨٦/٤ - ٩٦ .

(٣) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان: ٢٧٣/٥ .

(٤) انظر: كشف الخفاء / العجلوني: ٤٣١/١ .

(٥) أورده القرطبي في تفسيره: ٢٥١/٥ .

أسباب لدفع البلاء قبل وقوعه... د. منيرة بنت محمد المطلق

أجل أن يحل عليه الخير والرزق بإذن الله من مال وولد وصحة وطول عمر يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم: (صلة الرحم وحسن الجوار وحسن الخلق يعمران الديار ويزيدان في الأعمار)^(١). وقال أيضاً:

(من سره أن ييسر له في رزقه وأن ينسأ^(٢) له في أثره فليصل رحمه)^(٣)، وفي رواية: (لا يزيد في العمر إلا الصلة)^(٤)، وصلة الرحم تكون في الزيارة، و حضور المناسبات ومنها اجتماع العائلة والتي من خلالها يتم التعرف على أفرادها وتلمس حاجاتهم وحل مشاكلهم والاطمئنان على المرضى منهم فمن خلالها ينبع التكافل المادي لسد حاجات أفرادها ورفع مستواهم من الناحية المادية. ويحذر المسلم من القطيعة فقد قال صلى الله عليه وسلم: «الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله»^(٥) وفي زماننا الحاضر كثرت قطيعة الرحم فقد أصبح الناس مشغولين في حياتهم وكثرة همومهم فتباعدت القلوب لتباعد الأبدان لذا علينا الحذر من اتباع الشيطان والوقوع في القطيعة والتمادي في ذلك فيقتدي بالآباء الأبناء فصلة الرحم سبب لكثرة الرزق وطول العمر

(١) أخرجه: أحمد ١٥٩/٩، وقال ابن حجر في الفتح: ٤١٧/١٠ (وعند أحمد بسند رجاله ثقات).

(٢) ينسأ: يمد له في الأجل. انظر لسان العرب / ابن منظور: ١٦٦/١.

(٣) أخرجه البخاري: ٢٢٣٢/٥.

(٤) أخرجه الشهاب في مسنده ٩٣/١ رقم ١٠٠.

(٥) أخرجه مسلم ١٩٨١/٤.

وكذلك حسن الخلق والبعد عن الظلم وقد ذكر المناوي أن البغي من الكبر وقطيعة الرحم من البغي والتي تكون بالإيذاء والصد أو الهجر وجميعها من الكبائر ودل على ذلك الوعيد الشديد قال صلى الله عليه وسلم: (الرَّحِمُ شِجْنَةٌ^(١) فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلَتْهُ وَمَنْ قَطَعَهَا قَطَعَتْهُ)^(٢) أما قطيعتها بترك الإحسان فليس بكبيرة وفيه تنبيه على أن البلاء بسبب القطيعة في الدنيا لا يدفع بلاء الآخرة^(٣). وعقوبة الظلم لا تأتي فقط من ظلم الإنسان بل حتى ظلم الحيوان يجر إلى العقوبة في الدنيا كما قد يجر إلى العقوبة بالآخرة فقد أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم: (أن امرأة دخلت النار في هرة حبستها فلم تطعمها ولم تتركها تأكل من خشاش الأرض)^(٤). وأخبرنا الرسول صلى الله عليه وسلم أن امرأة من بني إسرائيل باغية غفر لها، لأنها سقت كلباً كان يأكل الثرى من شدة العطش، فشكر الله لها وغفر لها^(٥).

(١) يقول الفراهيدي في العين: ٦ / ٣٦ (شجنة الرحم معلقة بالعرش) ويعني بالشجنة قرابة مشتبكة ويقال: هي: كالغصن من الشجرة)، ويقول ابن منظور في لسان العرب: ١٣ / ٢٣٣ (أي قرابة مشتبكة... وتشجن الشجر التف).

(٢) أخرجه البخاري: ٥ / ٢٢٢٣.

(٣) انظر: فيض القدير: ٥ / ٤٧٨.

(٤) أخرجه البخاري: ٣ / ١٢٠٥، ومسلم: ٤ / ٢١١٠.

(٥) أخرجه البخاري: ٣ / ١٢٧٩، ومسلم: ٤ / ١٧٦١.

المبحث الثامن: إساءة وصنع المعروف للناس:

لقد حث الإسلام على تفريج الكروب ، وإساءة المعروف لما فيه من التوسيع على المسلمين وهو يدل على التكاتف والتآزر، وللمعروف فضائل كثيرة في الدنيا والآخرة ومن فضائله في الدنيا أنه يقي صاحبه مصارع السوء فيختم له بخاتمة حسنة. فقد قال صلى الله عليه وسلم: (إن صنائع المعروف تقي مصارع السوء)^(١). والمعروف هو ما يسديه العبد لأخيه من خير، فيقيه مصارع السوء أي يحفظ منها وقد ينقطع الثناء على فاعل ذلك لكنه لا ينقطع بينه وبين ربه^(٢). فصانع المعروف يختم له بخاتمة حسنة ومن يختم له بذلك يكون عند موته بأحسن حال .

المبحث التاسع: التحرزات الليلية:

لقد بين لنا المصطفى صلى الله عليه وسلم بعض التحرزات الليلية والتي تحفظ النفس والولد والمال فقال صلى الله عليه وسلم: (إذا كان جنح الليل^(٣) أو أمسيتم فكفوا صبيانكم فإن الشياطين تنتشر حينئذ فإذا ذهبت ساعة من الليل فخلوهم فأغلقوا الأبواب واذكروا اسم الله فإن

(١) أخرجه الحاكم : ٢١٣/١ وقال: (لم يخرجاه فإنه يذكر في الشواهد) والطبراني في الكبير: ٢٦١/٨، والأوسط: ٢٨٩/١، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: ١١٥/٣ (رواه الطبراني في الكبير وإسناده حسن).

(٢) انظر فيض القدير / المناوي: ٤٥٧/٢، ٥٧٦/٣.

(٣) (جنح الليل : طائفة منه يقال بضم الجيم وكسرهما ، واستجنح الليل من ذلك اشتدت ظلمته) تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم/الحميدي: ٢٠٧.

الشيطان لا يفتح باباً مغلقاً وأوكوا قريبكم^(١) واذكروا اسم الله وخمروا
 أنيتكم^(٢) واذكروا اسم الله ولو أن تعرضوا عليها شيئاً وأطفئوا
 مصابيحكم^(٣). وفي رواية (قال همام وأحسبه قال: ولو يعود يعرضه)^(٤).
 وفي رواية (وأجيفوا الأبواب)^(٥) وأكفتوا صبيانكم^(٦) في العشاء فإن للجن
 انتشاراً وخطفة^(٧). وفي رواية أخرى: (فإن الشيطان لا يكشف إناء فإن لم
 يجد أحدكم إلا أن يعرض على إنائه عوداً ويذكر اسم الله فليفعل فإن
 الفويسقة^(٨) تضرم على أهل البيت بيثهم)^(٩). وفي رواية (ربما جرت الفتيلة
 فأحرقت أهل البيت)^(١٠). لقد أمرنا الرسول بأخذ بعض الاحتياطات التي

-
- (١) قوله أوكوا: الإيكاء الشد واسم الخيط الذي يشد به السقاء الوكاء) غريب
 الحديث/ابن الجوزي: ٤٨٢/٢.
 (٢) خمروا أنيتكم التخير: التغطية) غريب الحديث /ابن سلام: ٢٣٩/١.
 (٣) أخرجه البخاري: ٢١٣/٥، ومسلم: ١٥٩٥/٣.
 (٤) أخرجه البخاري: ٢٣٢٠/٥.
 (٥) قوله أجيفوا الأبواب أي أغلقوها) غريب الحديث /ابن الجوزي: ١١/١.
 (٦) قوله (أكفتوا صبيانكم أي ضمومهم إليكم واحبسوهم في البيوت) غريب الحديث /
 ابن الجوزي: ٢/ص ٢٩٤.
 (٧) أخرجه البخاري: ١٢٠٥/٣.
 (٨) (الفويسقة الفأرة) مختار الصحاح/الرازي: ٢١١.
 (٩) أخرجه مسلم: ١٥٩٤/٣.
 (١٠) أخرجه البخاري: ٢٣٢٠/٥.

أسباب لدفع البلاء قبل وقوعه... _____ د. منيرة بنت محمد المطلق

تدفع عنا البلاء وقد بين وقته فقال: (إذا كان جنح الليل أو أمسيتم)^(١).
(والمعنى إقباله بعد غروب الشمس يقال جنح الليل واستجبح حان جنحه
أو وقع .. (أو أول الليل)^(٢). فإذا كان ذلك فلا ترسلوا مواشيكم
وصبيانكم إذا غابت الشمس حتى تذهب فحمة العشاء^(٣) فإن الشياطين
تنبعث إذا غابت الشمس حتى تذهب فحمة العشاء، والحكمة في
انتشارهم حينئذ أن حركتهم في الليل أمكن منها لهم في النهار، لأن الظلام
أجمع للقوى الشيطانية من غيره وكذلك كل سواد^(٤).

(١) أخرجه مسلم: ١٥٩٥/٣.

(٢) فتح الباري/ابن حجر: ٣٤١/٦.

(٣) (فحمة الليل سواده) المصباح المنير /أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي: ٢ /

٤٦٤. الفيومي: ٢ / ٤٦٤.

(٤) انظر: فتح الباري/ابن حجر: ٣٤١/٦.

والاحتياطات التي ذكرها - صلى الله عليه وسلم هي:

١- إغلاق الأبواب: (وقد ورد بالحديث (أغلقوا) و(أجيفوا) ومعنى أجيفوا بالجيم والفاء أي أغلقوها تقول أجفت الباب إذا أغلقته زاد في الرواية الماضية وأغلقوا الأبواب واذكروا اسم الله فإن الشيطان لا يفتح باباً مغلقاً (١). لكن بعض الناس لا يتقيد بذلك لذا يرى كثرة تسلط الشياطين على الناس بكثرة الأمراض العضوية والنفسية.

٢- ربط الأسقية:

٣- تغطية الآنية: (قوله (خمروا الآنية) أي غطوها) (٢). والحكمة من تغطية الآنية وربط السقاء قد يتضح بعضها من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (غطوا الإناء وأوكوا السقاء فإن في السنة ليلة ينزل فيها وباء لا يمر بإناء ليس عليه غطاء أو سقاء ليس عليه وكاء إلا نزل فيه من ذلك الوباء) (٣).

وعن الليث بن سعد (٤) أنه قال: (فإن في السنة يوماً ينزل فيه وباء وزاد

(١) المصدر السابق: ٣٥٦/٦.

(٢) المصدر السابق: ٣٥٧/٦.

(٣) أخرجه البخاري: ٢١٣١/٥، ومسلم: ١٥٩٦/٣ واللفظ له.

(٤) الليث بن سعد بن عبد الرحمن أبو الحارث فقيه أهل مصر قال عبد الملك: ما رأيت أحداً أكمل من الليث بن سعد كان فقيه البدن عربي اللسان يحسن القرآن والنحو ويحفظ الشعر والحديث حسن المذاكرة لم أر مثله وعن سعيد بن أبي أيوب قال لو أن مالكا والليث اجتمعا لكان مالكا عند الليث أبكم ت: ١٧٥هـ. انظر: تاريخ بغداد/البغدادي: ١٣/١٣ - ١٣.

أسباب لدفع البلاء قبل وقوعه... ————— د. منيرة بنت محمد المطلق

في آخر الحديث قال الليث فالأعاجم عندنا يتقون ذلك في كانون الأول^(١). يقول السيوطي: (ذكر العلماء للأمر بالتغطية فوائد منها الفائدتان اللتان وردتا في هذه الأحاديث وهما صيانته من الشيطان فإن الشيطان لا يكشف غطاء ولا يحل سقاء وصيانته من الوباء الذي ينزل في ليلة من السنة، والفائدة الثالثة صيانته من النجاسة والقاذورات والرابعة صيانته من الحشرات والهوام)^(٢).

٤- إطفاء المصابيح والسرج: وإطفاء النار بالبيت. عن أبي موسى رضي الله عنه قال: احترق بيت بالمدينة على أهله من الليل فحدث بشأنهم النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إن هذه النار إنما هي عدو لكم فإذا نمت فاطفئوها عنكم))^(٣). وكم روح ذهبت ضحية الإهمال وعدم الحيلة بإبقاء النار وعدم إطفائها عند النوم وخاصة في المخيمات والأفضل الأخذ بهذه الأسباب مع التوكل على الله (لأن الفويسقة) وهي الفأرة، ربما جرت الفتيلة. قال النووي: هذا عام يدخل فيه نار السراج وغيره وأما القناديل المعلقة فإن خيف بسببها حريق دخلت في ذلك وإن حصل الأمن منها كما هو الغالب فلا بأس بها لانتفاء العلة وقال القرطبي: جميع أوامر هذا الباب من باب الإرشاد إلى المصلحة ويحتمل أن تكون للندب ولا سيما في حق

(١) أخرجه مسلم: ١٥٩٦/٣.

(٢) شرح سنن ابن ماجه/ السيوطي: ٢٤٤.

(٣) أخرجه البخاري: ٥/ ٢٣١٩، ومسلم ١٥٩٦/٣.

من يفعل ذلك بنية امتثال الأمر^(١). ويفعل جميع ما سبق مع ذكر اسم الله وهي البسملة تبركاً بالاسم ودفعاً للشيطان.

٥- إمساك الصبيان والمواشي. لقد أمر صلى الله عليه وسلم بكفت الصبيان وضمهم (والمعنى امنعهم من الحركة في ذلك الوقت قوله عند المساء في هذا الباب) (إذا جنح الليل أو أمسيتم فكفوا صبيانكم) قوله (فإن للجن انتشاراً وخطفة) بفتح الخاء المعجمة والطاء المهملة والفاء في الرواية الماضية (فإن الشياطين تنتشر حينئذ فإذا ذهب ساعة من الليل فخلوهم)^(٢) وسبب مسك الصبيان والمواشي بالذات في تلك الساعة يقول (ابن الجوزي)^(٣) لأن النجاسة التي تلوذ بها الشياطين موجودة معهم غالباً والذكر الذي يحرز منهم مفقود غالباً والشياطين عند انتشارهم يتعلقون بما يمكنهم التعلق به فلذلك خيف في ذلك الوقت^(٤). وقد أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بعدم الخروج ليلاً إذا هدأت الرجل بقوله: (إذا سمعتم نباح الكلاب ونهاق الحمير من الليل فتعوذوا بالله فإنها ترى ما لا ترون وأقلوا الخروج إذا هدأت الرجل فإن الله عز وجل يبث في ليلة من

(١) فتح الباري / ابن حجر : ٣٥٦/٦.

(٢) المصدر السابق: ٣٥٦/٦.

(٣) هو أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن الجوزي، علامة عصره في التاريخ والحديث له تصانيف عديدة منها (الأذكياء) و (تلبس إبليس) و (زاد المسير) ت: ٥٧٩م انظر الكامل في التاريخ / عز الدين بن الأثير: ١٧١/١٢، ط / ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦ م .

(٤) المصدر السابق: ٣٤١/٦.

أسباب لدفع البلاء قبل وقوعه... ————— د. منيرة بنت محمد المطلق

خلقه ما شاء) ^(١). لكن ما يحدث الآن عكس ما أمر به بل لا يحلو للناس الخروج إلا ليلاً للهو والمرح ويهملون أطفالهم ويفسحون المجال أمامهم للعب وقت انتشار الشياطين لذلك نرى كثرة الأمراض النفسية والجسدية بين الناس كباراً وصغاراً، وجميع هذه التحرزات السابقة لدفع الأذى عموماً وتدفع أذى الشيطان خاصة.

٦- ألا يبيت الرجل وحده :

٧- ألا يسافر الرجل وحده : فالنبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الوحدة وهو أن يبيت الرجل وحده أو يسافر وحده ^(٢) قال صلى الله عليه وسلم : (لو يعلم الناس ما في الوحدة ما أعلم ما سار راكب ليل وحده) ^(٣) قوله ما أعلم أي الذي أعلمه من الآفات التي تحصل من ذلك السفر منفرداً ^(٤) (وقيده بالراكب والليل لأن الخطر بالليل أكثر فإن انبعاث الشر فيه أكثر والتحرز منه أصعب ومنه قولهم الليل أخفى للويل وقولهم أعذر الليل لأنه إذا أظلم كثر فيه الغدر لا سيما إذا كان راكباً فإنه له أخوف ووجل المركوب (من النفور) من أدنى شيء بخلاف الراجل . ويمكن التقييد بالراكب ليفيد أن الراجل ممنوع بطريق الأولى ولئلا يتوهم أن

(١) أخرجه أحمد: ٣٠٦/٣ وقال الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة : (٣١٨٤) (صحيح) ..

(٢) أخرجه أحمد: ٩١ / ٢ ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: ٨ / ١٠٤ : (رواه أحمد

ورجاله رجال الصحيح) .

(٣) أخرجه البخاري: ٣ / ١٠٩٢ .

(٤) انظر فتح الباري: ٦ / ١٣٨ .

الوحدة لا تطلق على الراكب كما لا يخفى^(١). والنهي عن سفر الواحد لا يختص بالليل إنما يشمل النهار لقوله صلى الله عليه وسلم: (الراكب شيطان والراكبان شيطانان والثلاثة ركب)^(٢).

فحري بالإنسان أن يدفع البلاء عن نفسه ويحرص على ذلك ما استطاع إلى ذلك سبيلا عن طريق الأخذ بالأسباب المشروعة ، التي بينها لنا المصطفى صلى الله عليه وسلم.

المبحث العاشر: عبادة الاستعاذة بالله:

إذا استعاذ المسلم بالله فقد أمن البلاء لأنه اعتصم والتجأ واستجار بعظيم فلا قدرة لمخلوق مهما كانت قوته على أذيته وإلحاق الأذى به أو بمن عودته، والاستعاذة من العبادات اللفظية الظاهرة مع يقين القلب بها، ومعناها يتضح فيما يأتي:

معنى الاستعاذة في اللغة:

العوذ الالتجاء كالعياذ والمعاذ والتعوذ والاستعاذة^(٣).

(١) تحفة الأحوذى/المباركفوري: ٥ / ٢٦٠.

(٢) أخرجه الترمذي: ٥ / ١٩٣ (وقال حسن صحيح)، و أبو داود: ٣ / ٣٦ ، والحاكم: ١١٢/٢ ، وقال (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وشاهده حديث أبي هريرة صحيح على شرط مسلم).

(٣) انظر مختار الصحاح/ الرازي: ٤٦١.

معنى الاستعاذة في الاصطلاح:

قال ابن كثير:

(الاستعاذة هي: الالتجاء إلى الله والالتصاق بجانبه من كل ذي شر، والعياذ: يكون لدفع الشر، واللياذ لطلب الخير)، وهي: التوجه والاعتصام بالله^(١)، وأعوذ بمعنى الاستجارة بجانب الله عز وجل، مما أخاف منه، أو الاستعانة، أو الاستغاثة^(٢)، ويذكر المقرئ: أن سورة الفلق والناس أعظم عوذة في القرآن، وقد جاءت الاستعاذة بهما وقت الحاجة، وهو حين سحر^(٣) النبي صلى الله عليه وسلم^(٤)، قال صلى الله عليه وسلم عنهما: (ما تعوذ المتعوذون بمثلهما)^(٥)، وقال صلى الله عليه وسلم: (يا عقبة، أعلمك خير سورتين قرئت: قل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس، يا عقبة، اقرأهما كلما نمت وقمت ما سأل سائل ولا استعاذ مستعيز

(١) انظر: البداية / العيني: ٢١٧/٢.

(٢) انظر: حياة القلوب / عبد الباري السنوبي: ٦: أ- مخطوطة - مكتبة الملك عبد العزيز،

رقم ١٢٢٣، وتفسير وبيان لأعظم سورة في القرآن/ محمد بن جميل زينو: ٢١.

(٣) الحديث الوارد في ذلك أخرجه البخاري: ٢١٧٤/٥، ومسلم: ١٧٧/٤.

(٤) انظر: تجريد التوحيد/ المقرئ: ٩.

(٥) أخرجه النسائي في المجتبى: ٢٥١/٨، رقم ٥٤٣٢، والنسائي في السنن الكبرى:

٤٣٨/٤، وقال الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة: ١١٠٤ (صحيح).

بمثلهما^(١) وتقال بعد صلاة الفجر والمغرب ثلاث مرات^(٢)، وبعد الصلوات الأخرى مرة واحدة^(٣)، وعند النوم ثلاثاً مع سورة الإخلاص^(٤). ومما ورد عنه صلى الله عليه وسلم - أيضاً من صيغ الاستعاذة : (أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه وشر عباده)^(٥) أما متى تقال، وكم تقال من مرة؟ وأين تقال؟ فقد بين المصطفى بأن المسلم يستعيذ بالله وحده لدفع الأذى والبلاء عنه . ويتعوذ بذلك ثلاث مرات^(٦) صباحاً ومساءً^(٧). (وكان عبد الله بن عمرو يعلمها من بلغ من ولده ومن لم يبلغ منهم كتبها في صك ثم علقها في

-
- (١) أخرجه: أبو داود: ٣٩٤/٢، والنسائي في الكبرى: ٤٣٨/٤، وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب في مجموعة الحديث: ٤٨٤/١: (حسن).
- (٢) أخرجه النسائي: ٢٥٣/٨، والدرامي: ٥٥٤/٢، وقال الألباني في صحيح الجامع ٢/١ (صحيح) وابن حبان: ٢٩٩/٣.
- (٣) أخرجه مسلم: ٢٧٢٣/٤.
- (٤) أخرجه البخاري: ١٩١٦/٤.
- (٥) أخرجه أبو داود: ٢١٨/٤، والترمذي: ٥٤١/٥، وقال الألباني في صحيح سنن أبي داود: ٤٧/٢ (صحيح).
- (٦) أخرجه ابن حبان: ٢٩٩/٣، والنسائي في الكبرى: ١٥٢/٢ و أنها تقال ثلاث مرات صباحاً ومساءً.
- (٧) أخرجه مسلم: ٢٠٨٠/٤ (جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم ما لقيت من عقرب لدغتنى البارحة قال: (أما لو قلت حين أمسيت: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم تضرْك).

أسباب لدفع البلاء قبل وقوعه... د. منيرة بنت محمد المطلق

عنه^(١)، ومعناها (أعوذ بكلمات الله التامات الكاملات التي لا يدخلها نقص وقيل النافعة الشافية وقيل المراد بالكلمات هذا القرآن)^(٢).

وأنواع المتعوذ منه عام وخاص: فيتعوذ بالله من كل شر، ومن أشياء مخصوصة بعينها جاء بالشرعية التعوذ بالله منها.

أما أين تقال؟ فإن المسلم يقولها عند نزوله أي منزل سواء كان منزله أوفي السيارة أو غيرها فقد يكون معناه الجلوس واللبث قال صلى الله عليه وسلم: ((من نزل منزلاً ثم قال أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك))^(٣)؛ لأنه استعاذ بالله وحده فهو رب الفلق ورب الناس ملك الناس إله الناس خالق كل شيء ومالكة الذي لا تنبغي الاستعاذة إلا به، ولا يستعاذ بأحد من خلقه، بل هو الذي يعيذ المستعيزين ويعصمهم ويمنعهم من شر ما استعاذوا من شره، وقد أخبر تعالى في كتابه عمن استعاذ من الإنس بخلق مثلهم وهم الجن أن استعاذته بهم زادتهم طغياناً فزادوا المستعيز بهم رهقاً، فقال حكاية عن مؤمن الجن: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾^(٤) ^(٥) وقد تعوذ صلى الله

(١) أخرجه الترمذي : ٥٤١/٥، وقال: (حسن غريب)، والحاكم ٧٣٣/١، وقال: (حديث صحيح الإسناد متصل).

(٢) الديباج على صحيح مسلم/ السيوطي: ٦٤/٦.

(٣) أخرجه مسلم: ٢٠٨٠/٤.

(٤) (الجن: ٦).

(٥) غاية الأمانى / محمود شكري الألوسي : ٣٠٥ / ٢.

عليه وسلم بالله من البلاء فقال: (اللهم إني أعوذ بك من الحرق والغرق ومن التردي وأن يتخبطني الشيطان عند الموت) ^(١)، وقال: (اللهم إني أعوذ بك من جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الأعداء) ^(٢)، يقول السيوطي (من سوء القضاء وهو شامل له في الدين والدنيا والبدن والمال والأهل وقد يكون في الخاتمة، نسأل الله السلامة، ومن درك الشقاء أي ما يدرك الإنسان من شقاء في دنياه وآخرته ومن شماتة الأعداء هي فرح العدو ببلىة تنزل بعدوه ومن جهد البلاء هي الحالة الشاقة) ^(٣)، وجهد البلاء كل ما أصاب المرء من شدة ومشقة وما لا طاقة له بحمله، ودرك الشقاء يكون في أمور الدنيا وفي أمور الآخرة، وكذلك سوء القضاء عام في النفس والمال والأهل والولد والخاتمة والمعاد شماتة الأعداء فرحهم ببلىة تنزل بالمعادي ^(٤). وقال: (اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل والبخل والجبن ومن ضلح الدين وغلبة الرجال) ^(٥). وقال: (أعوذ بك من زوال نعمتك وتحول عافيتك وفجاءة نقمتك) ^(٦). وأعظم نعمة على

(١) أخرجه أبو داود: ١٩٢/٢ ، والنسائي في المجتبى : ٢٥٢ / ٨ ، والحاكم: ٧١٢/١ ،

وقال: (صحيح الإسناد ولم يخرجاه).

(٢) أخرجه البخاري بنحوه : ٢٣٤٣ / ٥ ، والنسائي في الكبرى : ٤ / ٤٤٤ .

(٣) الديباج على صحيح مسلم / السيوطي : ٦٣/٦ .

(٤) انظر: فتح الباري/ ابن حجر : ١١ / ١٤٩ .

(٥) أخرجه البخاري: ٣/١٥٠٩ .

(٦) أخرجه مسلم : ٤ / ٢٠٩٧ .

أسباب لدفع البلاء قبل وقوعه... ————— د. منيرة بنت محمد المطلق

العبد هي: الدين فليلتجىء إلى الله قائلاً: أعوذ بالله من زوال نعمتك أي
نعمة الإسلام والإيمان ومنحة الإحسان والعرفان وتحول عافيتك بضم
الواو المشددة أي انتقالها من السمع والبصر وسائر الأعضاء، والفرق بين
الزوال والتحول أن الزوال : يقال في شيء كان ثابتاً في شيء ثم فارقه
والتحول: تغير الشيء وانفصاله عن غيره فمعنى زوال النعمة ذهابها
وتحول العافية إبدال الصحة بالمرض والغنى بالفقر وفي بعض نسخ
الكتاب وتحويل عافيتك من باب التفعيل^(١).

ويتضح مما سبق أن الاستعاذة بالله تدفع البلاء الذي لم ينزل فهو
سبحانه الدافع للبلاء والرافع له سبحانه. يقول ابن حجر: (ولا خلاف في
مشروعية الفزع إلى الله تعالى والالتجاء إليه في كل ما وقع وما يتوقع)^(٢).

(١) انظر: عون المعبود / الطيب آبادي: ٢٨٣/٤.

(٢) فتح الباري/ ابن حجر: ١٩٧/١٠.

المبحث الحادي عشر: أن يستودع العبد ربه الأشياء:

ومما يدفع البلاء عن النفس والأشياء استيداع الخالق لها؛ لأن الله هو الحافظ الحفيظ الذي إذا استودعه عبده شيئاً حفظه سواء كان نفسه أو ولده أو ماله أو حفظه لكتاب الله أو العلوم أو الدين عموماً أو أي شيء يريد حفظه. ويخشى هلاكه يقول صلى الله عليه وسلم: (إذا استودع الله شيئاً حفظه...) ^(١) أي الذي إذا استحفظ وديعة لا تضيع، فإنه تعالى إذا استودع شيئاً حفظه وأصل الوديعة التخلي عن الشيء وتركه وإذا تخلى العبد عن الشيء وتركه لله واستحفظه إياه فقد تبرأ من الحول والقوة فبذلك يحصل له الحفظ والعصمة، ويندب لكل من المتوادعين أن يقول للآخر ذلك وأن يزيد المقيم زودك الله التقوى وغفر ذنبك ووجهك للخير حيثما كنت ^(٢)، ويتأكد هذا الاستيداع عند السفر فيودع المقيم المسافر لمظنة الهلاك فيحفظه الله عز وجل بهذه الكلمات العظيمة وصيغتها نراه في قوله صلى الله عليه وسلم: (أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم أعمالك) ^(٣).

(١) أخرجه النسائي: ١٣١/٦، وأحمد: ٨٧/٢، وابن حبان: ٤١٠/٦ وقال شعيب الأرنؤوط: (إسناده قوي)، والحاكم: ٦١٠/١، وقال: (صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه).

(٢) انظر: فيض القدير / المناوي: ١ / ٥٠٢.

(٣) أخرجه: ابن ماجه: ٩٤٣/٣، وأحمد: ٣٥٨/٢، والنسائي في الكبرى: ٢٥١/٥، وقال العراقي في المغني عن حمل الأسفار: ٥٥٤/١: (رواه ابن ماجه، والنسائي في اليوم والليلة بإسناد حسن)، وقال المناوي في فيض القدير: ٥٠٢/١ (وقال الترمذي صحيح غريب =

أسباب لدفع البلاء قبل وقوعه... ————— د. منيرة بنت محمد المطلق

وفي رواية (أستودعك الله الذي لا تضيع ودائعه)^(١). فإن هذا الدعاء فيه التبرؤ من الحول والقوة إلا بالله يقول ابن رجب: (إن الله عز وجل يحفظ المؤمن الحافظ لحدود دينه ويحول بينه وبين ما يفسد عليه دينه بأنواع من الحفظ وقد لا يشعر العبد ببعضها)^(٢).

المبحث الثاني عشر: الأخذ بالتوجيهات الشرعية عند رؤية الرؤى السارة والمحنة:

لقد وجه صلى الله عليه وسلم أمته لما فيه خيرها من جلب خير أو دفع شر، ومن الأمور الشرعية التي تدفع البلاء موقف المسلم من الرؤى، و الرؤى تنقسم إلى قسمين: الرؤيا الحسنة والرؤيا السيئة، وللمسلم في كل منهما موقف يخصه:

-
- =وتبعه المصنف فرمز لصحته ورواه عنه النسائي أيضا فما أوهمه صنيع المصنف من تفرد هذين غير سديد.
- (١) أخرجه: ابن ماجه: ٩٤٣/٢، وأحمد: ٤٠٣/٢، وابن حبان: ٤١٠/٦، والنسائي في الكبرى: ١٦٨/٣، والبيهقي في السنن: ١٧٣/٩. وقال البوصيري في مصباح الزجاجة: ١٦٨/٣ (هذا إسناد فيه عبد الله بن لهيعة وهو ضعيف لكن لم ينفرد به ابن لهيعة فقد رواه النسائي في عمل اليوم والليلة عن يونس بن عبد الأعلى عن ابن وهب عن الليث وسعيد بن أبي سعيد كلاهما عن الحسن ابن ثوبان به ورواه أبو يعلى الموصلي في مسنده من طريق ابن لهيعة به). وقال المناوي في فيض القدير: ٥٠٢/١: (رمز المصنف لحسنه وفيه هشام بن عمار وقد سبق بيانه وابن لهيعة وقد ضعفوه لكنه متماسك وحديثه حسن وموسى بن وردان أورده الذهبي في الضعفاء وقال ضعفه ابن معين).
- (٢) جامع العلوم والحكم/ابن رجب: ١٨٧.

١ - أما ما يخص الرؤيا الحسنة فيستحب للرائي:

أ - أن يحدث بها . فقد ثبت بالسنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((إذا رأى أحدكم ما يحب فليحدث به))^(١). لبيان نعمة الرب على العبد فهذا من شكر النعم التي تدخل تحت قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾^(٢).

ب - ألا يخبر بها إلا من يحب: قال صلى الله عليه وسلم: ((فلا يحدث بها إلا من يحب))^(٣) فيكون ذا مودة له فلا يكيد له ولا يحسده ويذكر الحافظ ابن حجر بأن تقييد الإخبار بالرؤيا الحسنة لمن يحب لأنه إذا حدث بالرؤيا الحسنة من لا يحب قد يفسرها له بما لا يحب إما بغضاً وإما حسداً فقد تقع على تلك الصفة أو يتعجل لنفسه من ذلك حزناً ونكداً فأمر بترك تحديث من لا يحب^(٤). قال الله تعالى عن يعقوب إنه قال ليوسف عليهما السلام: ﴿قَالَ يَبْنَى لَا نَقْصُصُ رُءْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾^(٥) يقول ابن كثير: يقول تعالى مخبراً عن قول يعقوب لابنه يوسف حين قص عليه ما رأى من هذه الرؤيا التي

(١) أخرجه البخاري: ٢٥٨٢/٦.

(٢) (الضحى: ١١).

(٣) أخرجه البخاري: ٢٥٨٢/٦.

(٤) انظر فتح الباري/ابن حجر: ٤٣١/١٢.

(٥) (سورة يوسف: ٥).

أسباب لدفع البلاء قبل وقوعه... ————— د. منيرة بنت محمد المطلق

تعبيرها خضوع إخوته له وتعظيمهم إياه تعظيماً زائداً بحيث يخرون له ساجدين إجلالاً واحتراماً وإكراماً فخشي يعقوب عليه السلام أن يحدث بهذا المنام أحداً من إخوته فيحسدونه على ذلك فيبغون له الغوائل حسداً منهم له ولهذا قال له لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيداً أي يحتالوا لك حيلة يردونك فيها^(١)؛ لأن كل صاحب فضل ونعمة محسود فإذا عرف عدوه عن هذه الرؤيا الحسنة حسده (فعمل الحيلة على إفسادها وربما يكون هذا سببا في زوال النعمة والأولى والأفضل ألا يحدث بها إلا عالماً أو ناصحاً، فالعالم يدلّه على تفسيرها ويؤولها له على الخير مهما كانت والناصح يرشده إلى ما ينبغي ويعينه عليه^(٢)).

وسبب النهي عن التحدث بها هو الخوف من البغي على صاحب الرؤيا قبل أن توجد فإذا وجدت فيتحدث بها من باب شكر النعم يقول ابن كثير: (ومن هذا يؤخذ الأمر بكتمان النعمة حتى توجد وتظهر كما ورد في حديث (استعينوا على قضاء الحوائج بكتمانها فإن كل ذي نعمة محسود)^(٣)).

(١) تفسير القرآن العظيم / ابن كثير: ٤٧٠/٢.

(٢) انظر شرح النووي على صحيح مسلم: ١٧/١٥، والجامع لأحكام القرآن / القرطبي: ٣٣٥٦/٤.

(٣) أخرجه الروياني في مسنده عن معاذ: ٤٢٧/٢، وذكر ابن أبي حاتم عن أبيه: (أنه حديث منكر لا يعرف له أصل وفيه حسين بن علوان) وقد قال ابن عدي: (عامّة أحاديثه موضوعة)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: ١٩٥/٨ رواه الطبراني في الثلاثة وفيه سعيد ابن سلام العطار وقال العجلي لا بأس به وكذبه أحمد وغيره وبقية رجاله ثقات إلا أن =

ج- لا يخبر بها إلا العالم بتأويلها؛ لأن الرؤيا تقع على حسب ما يعبرها المعبر فلا يُسأل إلا من اتصف بصفات منها العلم والنصح والإحسان قال صلى الله عليه وسلم: ((إن الرؤيا تقع على ما تعبر، ومثل ذلك رجل رفع رجله فهو ينتظر متى يضعها فإذا رأى أحدكم رؤيا فلا يحدث بها إلا عالماً أو ناصحاً))^(١)، ((الرؤيا على رجل طائر ما لم تعبر فإذا عبرت وقعت)) قال وأحسبه قال: ((ولا يقصها إلا على واد أو ذي رأي))^(٢).

وفي رواية ((ولا يحدث بها إلا حبيباً أو لبيباً))^(٣) ؛ لأن العالم يؤول بها له على الخير مهما أمكنه ذلك وأما الناصح فإنه يرشد إلى ما ينفعه ويعينه عليه وأما اللبيب وهو العارف بتأويلها فإنه يعلمه بما يؤول عليه في ذلك أو يسكت وأما الحبيب فإنه إن عرف خيراً قاله وإن جهل أو شك سكت.^(٤) لأنه يعلم أنها إذ عبرت وقعت على الرائي يعني يلحقه حكمها

=خالد بن معدان لم يسمع من معاذ، وذكر العجلوني أيضاً في الكشف: ١٣٥/١ أن الخلعي ذكره في فوائده عن علي رفعه وقال: (ويستأنس له بما أخرجه الطبراني عن ابن عباس مرفوعاً: (إن لأهل النعم حساداً فاحذروهم)).
(١) أخرجه الحاكم: ٤/٤٣٣ وقال: (صحيح الإسناد) ووافقه الذهبي وصححه الألباني في الصحيحة: ٢٤/١.

(٢) أخرجه: أبو داود: ج ٤، ص ٣٠٥، وابن ماجه: ج ٢، ١٢٨٨، وابن حبان، ج ١٣، ص ٤١٥ قال الألباني في سنن أبي داود: ٥٠٢٠ (صحيح .

(٣) أخرجه الترمذي: ١٣٢/٩، وقال حديث حسن صحيح.

(٤) انظر: فتح الباري/ ابن حجر: ٣٦٩/١٢، و تحفة الأحوذى / المباركفوري: ١٢٩/٩.

أسباب لدفع البلاء قبل وقوعه... د. منيرة بنت محمد المطلق

قال في النهاية^(١) : (الرؤيا على رجل طائر ما لم تعبر) أي لا يستقر تأويلها حتى تعبر، يريد أنها سريعة السقوط إذا عبرت كما أن الطير لا يستقر في أكثر أحواله فكيف ما يكون على رجله؟ ومنه الحديث: (الرؤيا لأول عابر)^(٢) ، (وهي على رجل طائر).. أراد على رجل قدر جار وقضاء ماض من خير أو شر (والرؤيا لأول عابر) يعبرها أي أنها إذا احتملت تأويلين أو أكثر فعبرها من يعرف عبارتها وقعت على ما أولها وانتفى عنها غيره من التأويل، وقال السيوطي : والمراد أن الرؤيا هي التي يعبرها المعبر الأول فكأنها كانت على رجل طائر فسقطت ووقعت حيث عبرت وأحسبه أي النبي صلى الله عليه وسلم قال : (أي لا تعرض رؤياك إلا على واد) بتشديد الدال أي محب لأنه لا يستقبلك في تفسيرها إلا بما تحب، أو ذي رأي، أي: عاقل أو عالم قال الزجاج: معناه ذو علم بعبارة الرؤيا، فإنه يخبرك بحقيقة تفسيرها أو بأقرب ما يعلم منه^(٣) ، وقال الألباني: (والحديث صريح بأن الرؤيا تقع على مثل ما تعبر، ولذلك أرشدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا نقصها إلا على ناصح أو عالم؛ لأن المفروض فيهما أن يختارا أحسن المعاني في تأويلها فتقع على وفق ذلك، لكن مما لا ريب فيه أن ذلك

(١) في غريب الحديث .

(٢) أخرجه ابن ماجه : ٢ / ١٢٨٨، وأبو يعلى في مسنده: ٧ / ١٥٨، وقال ابن حجر في فتح الباري : ١٢ / ٤٣٢: (هو حديث ضعيف فيه يزيد الرقاشي ولكن له شاهد أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه بسند حسن وصححه الحاكم عن أبي رزين رفعه).

(٣) انظر عون المعبود/الطيب أبادي: ٢٤٨/١٢.

مقيد بما إذا كان التعبير مما تحتمله الرؤيا ولو على وجه وليس خطأ محضاً، وإلا فلا تأثير له حيثئذ والله أعلم.

وقد أشار إلى هذا المعنى الإمام البخاري في كتاب التعبير من صحيحه بقوله: باب من يروي الرؤيا لأول عابر إذا لم يصب^(١). ثم ساق حديث (الرجل الذي رأى في المنام ظلة وعبرها أبو بكر الصديق) ثم قال: فأخبرني يا رسول الله بأبي أنت وأمي أصبت أم أخطأت قال النبي صلى الله عليه وسلم: (أصبت بعضاً وأخطأت بعضاً)^(٢).

د- يستبشر بها: مع كتمانها إلا على من يحب قال صلى الله عليه وسلم: (إذا رأى رؤيا حسنة فليشتر ولا يخبر إلا من يحب)^(٣).

هـ- يحمد الله تعالى عليها: قال صلى الله عليه وسلم: (إذا رأى أحدكم رؤيا يحبها فإنما هي من الله، فليحمد الله عليها وليحدث بها). لأن الرؤى الحسنة والصالحة نعمة وفضل من الله.

٢- فيما يخص الرؤيا المكروهة:

قد يرى المسلم ما يزعجه في منامه وينغص عليه حياته فحتى لا تقع الرؤيا السيئة التي رآها عليه التمسك بآداب الرؤيا التي جاءت بالسنة فقد أخبر الرسول أنها لا تضره، فقد كان أبو سلمة يرى الرؤيا فيصيبه الهلع

(١) صحيح البخاري: ٤٥٨٢/٦.

(٢) أخرجه البخاري: ٤٥٨٢/٦.

(٣) أخرجه مسلم: ١٧٧٢/٤.

أسباب لدفع البلاء قبل وقوعه... ————— د. منيرة بنت محمد المطلق

منها حتى لقي أبا قتادة^(١) فذكر ذلك له فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((الرؤيا من الله والحلم من الشيطان فإذا حلم أحدكم حلماً يكرهه فلينفث عن يساره ثلاثاً وليتعوذ بالله من شرها فإنها لن تضره)).^(٢) وفي رواية (قال: إن كنت لأرى الرؤيا أثقل علي من جبل فما هو إلا أن سمعت بهذا الحديث فما أباليها).^(٣)، وفي رواية أن أبا سلمة قال: (إن كنت لأرى الرؤيا تمرضني، قال فلقيت أبا قتادة، فقال: وأنا كنت لأرى الرؤيا فتمرضني حتى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (الرؤيا الصالحة من الله فإذا رأى أحدكم ما يحب، فلا يحدث بها إلا من يحب، وإن رأى ما يكره فليتنفل عن يساره ثلاثاً، وليتعوذ بالله من شر الشيطان وشرها، ولا يحدث بها أحداً فإنها لن تضره).^(٤)، وعن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت: كانت امرأة من أهل المدينة لها زوج يتاجر (ويسافر) فكانت ترى رؤيا كلما غاب عنها زوجها وقلما يغيب إلا تركها حاملاً فتأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فتقول: إن زوجي خرج فتركني حاملاً فرأيت فيما يرى النائم أن سارية بيتي انكسرت وأني ولدت غلاماً أعور، فقال

(١) أبو قتادة: الحارث بن ربعي بن بلدمة الأنصاري السلمي الخزرجي يقال لأبي قتادة فارس رسول الله وروي عن النبي ثم أنه قال: (خير فرساننا أبو قتادة وخير رجالنا سلمة ابن الأكوع) ت: ٥٤٤هـ. انظر: الاستيعاب / ابن عبد البر: ١ / ٢٨٩

(٢) أخرجه البخاري: ٢٥٨٢/٦ ومسلم: ١٧٧١ / ٤ .

(٣) أخرجه البخاري: ٢٥٨٢/٦ .

(٤) أخرجه البخاري: ٢٥٨٢ / ٦ ، ومسلم: ١٧٧٢/٤ .

رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((خير يرجع زوجك عليك إن شاء الله تعالى صالحاً وتلدن غلاماً برأ)) ، فكانت تراها مرتين أو ثلاثاً كل ذلك تأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول ذلك لها فيرجع زوجها وتلد غلاماً فجاءت يوماً كما كانت تأتيه ورسول الله صلى الله عليه وسلم غائب وقد رأت تلك الرؤيا فقلت لها عم تسألين رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أمة الله فقالت: (رؤيا كنت أراها فأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسأله عنها فيقول خيراً فيكون كما قال فقلت فأخبريني ما هي قالت حتى يأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعرضها عليه كما كنت أعرض والله ما تركتها حتى أخبرتني فقلت والله لئن صدقت رؤياك ليموتن زوجك وتلدن غلاماً فاجراً فقعدت تبكي فقال ما لها يا عائشة فأخبرته الخبر وما تأولت لها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((يا عائشة إذا عبرتم للمسلم الرؤيا فاعبروها على الخير فإن الرؤيا تكون على ما يعبرها صاحبها)) ، فمات والله زوجها ولا أراها إلا ولدت غلاماً فاجراً^(١).

فقد ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم عدة أشياء من أجل دفع شر هذه الرؤيا المكروهة وهي :

أولاً: أن يتعوذ بالله من شرها ثلاثاً .

ثانياً: يتعوذ بالله من شر الشيطان ثلاثاً:

(١) أخرجه الدارمي: ١٧٤/٢ ، وقال ابن حجر في الفتح: ٤٣٢/١٢ : (وعند الدارمي بسند حسن).

وقال محقق سنن الدارمي: ١٧٥/٢ فواز زمزلي: (وفي سننه محمد بن إسحاق وقد عنعن).

أسباب لدفع البلاء قبل وقوعه... د. منيرة بنت محمد المطلق

ثالثاً: يصبق على يساره ثلاثاً: قال صلى الله عليه وسلم: (فليصبق على يساره حين يهب من نومه ثلاثاً).^(١) أو ينفث قال صلى الله عليه وسلم: (الحلم من الشيطان فإذا حلم أحدكم حلماً يكرهه فلينفث عن يساره ثلاثاً وليتعوذ بالله من شرها فإنها لن تضره).^(٢)

رابعاً: يتحول من جنبه الذي كان عليه: قال صلى الله عليه وسلم: (وليتحول عن جنبه الذي كان عليه).^(٣)

خامساً: لا يتحدث بها. ولا يذكرها لأحد أصلاً ولا يحدث بها حتى لا تقع.^(٤)

سادساً: لا يفسرها لنفسه بل يحاول نسيانها تماماً فلا يفكر بها ولا يحاول تأويلها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إذا رأى أحدكم الرؤيا الحسنة فليفسرها، وليخبر بها، وإذا رأى الرؤيا القبيحة فلا يفسرها، ولا يخبر بها)).^(٥)

(١) أخرجه البخاري : ٢٥٨٢/٦ .

(٢) أخرجه البخاري : ٢٥٨٢/٦ ومسلم : ١٧٧١ / ٤ .

(٣) أخرجه مسلم : ١٧٧٢ / ٤ .

(٤) انظر فتح الباري/ ابن حجر: ٣٧١/١٢ .

(٥) أخرجه ابن عبد البر في التمهيد (١/ ٢٨٧ - ٢٨٨) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٤١٤/٣).

سابعاً: يصلي: قال صلى الله عليه وسلم: (فمن رأى شيئاً يكرهه فلا يقصه على أحد وليقم فليصل)^(١).

ثامناً: يقرأ آية الكرسي: وقراءة آية الكرسي لم ترد في السنة لكن بعض العلماء استنتج ذلك من بعض الأحاديث منهم النووي، يقول ابن حجر: ورأيت في بعض الشروح ذكر قراءة آية الكرسي ولم يذكر لذلك مستنداً فإن كان أخذه من عموم قوله في حديث أبي هريرة (ولا يقربنك الشيطان)^(٢) فيتجه وينبغي أن يقرأها في صلاته المذكورة، فأما الاستعاذة بالله من شرها فواضح وهي مشروعة في كل أمر يكره وأما الاستعاذة من الشيطان فلما وقع في بعض طرق الحديث أنها منه وإنما يخیل بها لقصد تحزين الآدمي والتهويل عليه^(٣) كما تقدم، وأما التفل فقال عياض أمر به طرداً للشيطان الذي حضر الرؤيا المكروهة تحقيراً له

(١) أخرجه مسلم بلفظ: ١٧٧٣/٤ (فإن رأى أحدكم ما يكره فليقم فليصل ولا يحدث بها الناس).

(٢) أخرجه: البخاري ج ٢/ص ٨١٢.

(٣) قال صلى الله عليه وسلم: (الرؤيا ثلاث منها أهأويل من الشيطان ليخزن بها ابن آدم ومنها ما يؤم به الرجل في يقظته فيراه في منامه ومنها جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة) أخرجه: ابن حبان: ١٣ / ٤٠٧، وابن ماجه ١٢٨٥/٢، وقال البوصيري في مصباح الزجاجة ١٥٥/٤-١٥٦ (هذا إسناد صحيح رجاله ثقات رواه أبو بكر بن أبي شيبة في مسنده عن المعلى بن منصور عن يحيى بن حمزة بإسناده ومثله وأصله في صحيح البخاري وغيره من حديث أنس بن مالك وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة).

أسباب لدفع البلاء قبل وقوعه... ————— د. منيرة بنت محمد المطلق

واستقذاراً، وخصت به اليسار؛ لأنها محل الأقدار ونحوها قلت والتثليث للتأكيد وقال القاضي أبو بكر بن العربي^(١): فيه إشارة إلى أنه في مقام الرقية ليتقرر عند النفس دفعه عنها وعبر في بعض الروايات البصاق إشارة إلى استقذاره .. قال عياض وفائدة التفل التبرك بتلك الرطوبة والهواء والنفث المباشر للرقية المقارن للذكر الحسن كما يتبرك بغسالة ما يكتب من الذكر والأسماء .. قلت لكن المطلوب في الموضوعين مختلف؛ لأن المطلوب في الرقية التبرك برطوبة الذكر كما تقدم والمطلوب هنا طرد الشيطان وإظهار احتقاره واستقذاره .. فإنها لا تضره فمعناه أن الله جعل ما ذكر سبباً للسلامة من المكروه والمترتب على الرؤيا كما جعل الصدقة وقاية للمال، انتهى. وأما الصلاة فلما فيها من التوجه إلى الله ولأن في التحرم بها عصمة من الأسواء وبها تكمل الرغبة وتصح الطلبة لقرب المصلي من ربه ثم سجوده، وأما التحول فالتفاؤل بتحول من تلك الحال التي كان عليها. قال النووي: وينبغي أن يجمع بين هذه الروايات كلها ويعمل بجميع ما تضمنته فإن اقتصر على بعضها أجزاءه في دفع ضررها بإذن الله تعالى كما صرحت به الأحاديث قلت: لم أر في شيء من الأحاديث الاقتصار على واحدة، نعم أشار المهلب إلى أن الاستعاذة

(١) هو أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي المالكي، له عدد من المصنفات منها العواصم من القواصم، ت: ٥٤٣، انظر سير أعلام النبلاء / الذهبي: ١٩٧/٢٠ كشف الظنون / مصطفى الرومي الحنفي: ٧٩٢/٢، ١٩٢٠، ط ١٤١٢هـ-١٩٩٣.

كافية في دفع شرها وكأنه أخذه من قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ (١٨) إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (١) .

فيحتاج مع الاستعاذة إلى صحة التوجه ولا يكفي إمرار الاستعاذة باللسان وقال القرطبي في المفهم^(٢) الصلاة تجمع ذلك كله لأنه إذا قام فصلى تحول عن جنبه وبصق ونفث عند المضمضة في الوضوء واستعاذ قبل القراءة ثم دعا الله في أقرب الأحوال إليه فيكفيه الله شرها بمنه وكرمه وورد في صفة التعوذ من شر الرؤيا أثر صحيح... عن إبراهيم النخعي^(٣) قال: (إذا رأى أحدكم في منامه ما يكرهه فليقل إذا استيقظ أعوذ بما عادت به ملائكة الله ورسله من شر رؤيائي هذه أن يصيبيني فيها ما أكره في ديني ودنياي)^(٤) وورد في الاستعاذة من التهويل في المنام ما أخرجه مالك قال بلغني

(١) النحل: ٩٨، ٩٩.

(٢) وورد هذا الكلام أيضا في كتاب الجامع لأحكام القرآن: ١٢٨/٩.

(٣) الحافظ إمام وفقه العراق أبو عمران إبراهيم بن النخعي اليماني ثم الكوفي انظر سير أعلام النبلاء/الذهبي ١/٤/٥٢٠، ط/٩.

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه: ٦/١٨٣، ومعمر بن راشد في الجامع: ١١/٢١٤.

أسباب لدفع البلاء قبل وقوعه... ————— د. منيرة بنت محمد المطلق

أن خالد بن الوليد^(١) قال يا رسول الله إني أروع في المنام فقال: (قل أعوذ بكلمات الله التامات من شر غضبه وعذابه وشر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون)^{(٢) (٣)}.

المبحث الثالث عشر: حفظ الأطفال مما يضرهم :

لم يغفل الرسول - صلى الله عليه وسلم - ما يحفظ الأطفال صغاراً ، فتحفظ بإذن الله أجسادهم ونفسياتهم كباراً فيشبوا سليمي الجسد والحواس سليمة نفوسهم من الانحراف. وما يشاهد من كثرة الأمراض الجسدية والنفسية هذه الأيام إنما هو بسبب غفلة الناس عن وسائل حفظهم وحفظ أطفالهم التي وردت في السنة الشريفة، ومن هذه الوسائل:

(١) خالد بن الوليد بن المغيرة القرشي المخزومي أبو سليمان أحد أشرف قريش وإليه كانت القبة وهي أنهم يضربونها و يجمعون إليها ما يجهزون به الجيش والأعنة في الجاهلية وهي أنه كان يكون المقدم على الخيول في الحروب و أسلم سنة خمس و كان على خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية سنة ست ولم يزل من حين أسلم يوليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أعنة الخيل فيكون في مقدمتها في محاربة العرب وشهد فتح مكة فأبلى فيها، وأمره أبو بكر الصديق على الجيوش ففتح الله عليه الإمامة وغيرها وقتل على يده أكثر أهل الردة منهم مسيلمة ومالك بن نويرة. ت: ٢١هـ - رضي الله عنه - انظر الاستيعاب / ابن عبد البر: ٤٢٧/٢ و ٤٢٨.

(٢) أخرجه الترمذي: ٥٤١/٥، وقال: (حديث حسن)، والطبراني في الكبير: ١/ ٧٤.

(٣) فتح الباري / ابن حجر: ٣٧١ / ١٢ .

١ - اختيار الوالدين الصالحين قبل تكوين الطفل:

لقد بين النبي صلى الله عليه وسلم الأسس التي تبنى عليها الأسرة الصالحة المؤهلة لتربية الأجيال المسلمة ومن هذه الأسس اختيار الزوج الصالح والزوجة الصالحة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إِذَا أَتَاكُمْ مِنْ تَرْضُونَ خُلُقَهُ وَدِينَهُ فَزَوِّجُوهُ إِلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ عَرِضٌ)^(١)، وقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : (تُنكِحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ لِمَالِهَا وَلِحَسَبِهَا وَجَمَالِهَا وَلِدِينِهَا فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبْتُ يَدَاكَ)^(٢).

٢ - البسملة والذكر والدعاء قبل تكوين خلق الطفل: قال صلى الله عليه وسلم: (لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال: بسم الله، اللهم جنبنا الشيطان، وجنب الشيطان ما رزقتنا - فقضي بينهما ولد، لم يضره شيطان أبداً)^(٣). أي لم يضره بمس ولا بزيغ.

٣ - الأذان في أذن المولود اليمنى والإقامة في اليسرى: لقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه (أذن في أذنه^(٤) اليمنى وأقام في أذنه

(١) أخرجه ابن ماجه: ج١/ص٦٣٢، و الترمذي: ج٣/ص٣٩٤-٣٩٥، وقال: (هذا حديث حسن غريب)، و. الحاكم: ج٢/ص١٧٩، وقال: (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه).

(٢) أخرجه البخاري: ج٥/ص١٩٥٨، و مسلم: ج٢/ص١٠٨٦.

(٣) أخرجه البخاري: ج١/ص٦٥، و مسلم: ج٢/ص١٠٥٨.

(٤) أي في أذن الحسين.

أسباب لدفع البلاء قبل وقوعه... د. منيرة بنت محمد المطلق

اليسرى^(١) ، وفي رواية: (من ولد له مولود فأذن في أذنه اليمنى وأقام في أذنه اليسرى، لم تضره أم الصبيان^(٢))^(٣) .

٤ - تحنيك المولود والتبريك عليه : فقد (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتى بالصبيان فيبرك عليهم ويحنكهم)^(٤) ، وفي رواية (فيدعو لهم بالبركة)^(٥) ، وقد بينت بعض الأحاديث نوع التمر الذي يحنك فيه فقد

(١) أخرجه أبو داود: ٣٢٨/٤ ، والترمذي: ٩٧/٤ وقال: (حديث حسن صحيح) وأحمد: ٣٩١/٦ ، والحاكم: ١٩٧/٣ ، وقال: (صحيح الإسناد ولم يخرجاه)، والبيهقي في السنن: ٣٠٥/٩ ، والشعب: ٣٨٩/٦ ، والطبراني في الكبير: ٣١٥/١-٣٠/٣ ، والأوسط : ١٠٢/٩ ، والبزار في مسنده ٣٢٥/٩ ، وأورده ابن تيمية في الكلم الطيب: ١١١ .
(٢) أم الصبيان يعني الريح التي تعرض لهم فلربما غشي عليهم منها، انظر: لسان العرب ابن منظور: ٣٢ / ١٢ .

(٣) أخرجه أبو يعلى في مسنده: ١٥٠ / ١٢ ، والديلمى في الفردوس ٦٣٢ / ٣ ، وأورده الصنعاني في سبل السلام ١٠٠ / ٤ ، والشوكاني في نيل الأوطار: ٢٣٠ / ٥ ، وقال حكى في البحر استحباب ذلك عن الحسن البصري، وقال ابن حجر في التلخيص الحبير ١٤٩/٤: قد روي مرفوعاً أخرجه ابن السني من حديث الحسين بن علي بلفظ (من ولد له مولود) الحديث، وانظر حاشية المحقق في الكلم الطيب ص ١١١ . فقد قال الألباني: موضوع، رواه ابن السني بسند فيه متهمان بالوضع، والثالث ضعيف، ذكروا في الحديث، ورواه البيهقي من حديث الحسن بن علي وهو هاهنا عن الحسين وكذلك ذكره النووي في الأذكار. وراجع سلسلة الأحاديث الضعيفة.

(٤) أخرجه مسلم : ٢٣٧/١ .

(٥) أخرجه أبو داود : ١٠٦/٣ ، وقال الألباني في الكلم الطيب: ١١١ : (إسناده صحيح على شرط الشيخين).

ذكر أبو طلحة^(١) أنه حمل وليده وأتى به الرسول فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعجوة من عجوة المدينة فلاكها في فيه حتى ذابت ثم قذفها في الصبي فجعل الصبي يتلمظها^(٢) قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (انظروا إلى حب الأنصار التمر قال فمسح وجهه وسماه عبد الله)^(٣). وفي رواية: (عن أسماء بنت أبي بكر^(٤) رضي الله عنهما أنها حملت بعبد الله بن الزبير بمكة قالت: فخرجت ... فأتيت المدينة فنزلت قباء فولدت بقاء ثم أتيت به رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعت في حجره ثم دعا بتمرة

(١) هو: أبو طلحة الأنصاري زيد بن سهل بن الأسود بن حرام الأنصاري النجاري مشهور باسمه وكنيته وهو القائل:

أنا أبو طلحة واسمي زيد وكل يوم في جراي صيد

انظر الإصابة/ابن حجر : ٢٣١/ ٧ ، وقال ابن حجر في الإصابة : ٦٠٨ / ٢ : (كان من فضلاء الصحابة وهو زوج أم سليم وعن أنس أنه كان يرمي بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد فرفع النبي صلى الله عليه وسلم ينظر فرفع أبو طلحة صدره وقال : هكذا لا يصيبك بعض سهامهم نحري دون نحرك صحيح الإسناد... وشهد بدرا وقال النبي -صلى الله عليه وسلم - : (لصوت أبي طلحة في الجيش خير من فئة) أخرجه أحمد مراسلات: ٣٤هـ. نظر الإصابة / ابن حجر : ٦٠٨ / ٢ .

(٢) يتلمظ أي يدير لسانه في فيه ويحركه يتبع أثر التمر، واسم ما يبقى في الفم من أثر الطعام لماظة (النهاية في غريب الحديث / ابن الأثير: ٤ / ٢٧١ .

(٣) أخرجه البخاري: ٢٠٨٢/٥، ومسلم: ١٩٠٩/٤ .

(٤) هي أسماء بنت أبي بكر الصديق، وسماها رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات النطاقين، وهي أم عبد الله بن الزبير أول مولود للمهاجرين بعد الهجرة، وتوفيت أسماء بمكة سنة: ٧٣هـ بعد قتل ابنها عبد الله بن الزبير ببسير وماتت وقد بلغت مائة سنة وقد كف بصرها. انظر الاستيعاب/ابن عبد البر: ٤ / ١٧٨١-١٧٨٣ .

أسباب لدفع البلاء قبل وقوعه... د. منيرة بنت محمد المطلق

فمضغها ثم تفل في فيه فكان أول شيء دخل جوفه ريق رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم حنكه بالتمر ثم دعا له وبرك عليه وكان أول مولود ولد في الإسلام ففرحوا به فرحاً شديداً؛ لأنهم قيل لهم إن اليهود قد سحرتكم فلا يولد لكم^(١).

والتمر من أفضل ما يدخل الجوف لفائدته بالذات للكبد وقد شبه ابن حجر المولود بالصائم الذي يفطر على الرطب والتمر^(٢).

٥- اختيار الاسم الحسن للمولود : ويلاحظ في ذلك:

أ- نوع الاسم: فالاسم الحسن مما يجلب السرور لحامله والتفاؤل لغيره. فعلى الوالد أن يسميه بالأسماء الحسنة لا السيئة التي تجعله يتحاشى ويخجل من ذكر اسمه أمام الغير فإن الأسماء لا تباع ولا تشتري فهي بلا ثمن. فعن ابن عباس قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتفأل ولا يتطير ويعجبه الاسم الحسن^(٣). وقد سمي ابن الزبير^(٤) وابن طلحة^(٥) بعبد الله لأنه أحب الأسماء إلى الله^(٦).

(١) أخرجه البخاري: ٢٠٨١/٥.

(٢) انظر فتح الباري/ابن حجر: ٥٨٨/٣.

(٣) أخرجه أحمد: ٢٥٧/١، وابن حبان: ١٣/١٤٠، وقال الألباني في صحيح أبي داود: ٧٤٢/٢ (صحيح).

(٤) أخرجه مسلم: ١٦٩٠/٣.

(٥) سبق تخريجه.

(٦) قال صلى الله عليه وسلم: (أحب الأسماء إلى الله عبد الله وعبدالرحمن). أخرجه أبو داود: ٢٨٧/٤، ابن ماجه: ١٢٢٩/٢، والطبراني في الكبير: ٥٠/٨، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: (رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح).

ب- وقت التسمية: يستحب أن يسمى المولود يوم سابعه قال ﷺ: (الغلام مرتين^(١) بعقيقته^(٢) تذبح عنه يوم سابعه ويحلق رأسه ويسمى يوم السابع)^(٣)، ويمكن أن يسمى عند أول مولده لتسميته صلى الله عليه وسلم ابن الزبير^(٤) وابن طلحة^(٥) بعبد الله وغيرهما عند مولدهم.

٦- حلق رأس المولود وإراقة الدم عنه: لقد ورد في الحديث السابق حلق رأس المولود والعق عنه ولقد عق صلى الله عليه وسلم عن الحسن وقال: لفاطمة^(٦): (احلقي رأسه وتصدقي بزنة شعره فضة)^(٧). وفي رواية: (أمر أن يماط عن رؤوسهما الأذى)^(٨)، وإطلاقه حلق الرأس يشمل الأنثى

(١) (قيل معناه أن أباه يحرم شفاعته إذ لم يعق عنه.. النهاية/ ابن الأثير: ٢٧٧/٣، وانظر فتح الباري/ ابن حجر: ٥٩٤/٩.

(٢) (عقيقته.. الشعر الذي يولد فيه) مقاييس اللغة/ ٤/٤.

(٣) أخرجه: البخاري ٢٠٨٢/٥، وابن ماجه: ١٠٥٦/٢، والترمذي: ١٠١/٤، والحاكم: ٢٦٤/٤ واللفظ له.

(٤) أخرجه مسلم: ١٦٩٠/٣.

(٥) أخرجه البخاري: ٢٠٨٢/٥، ومسلم: ١٦٨٩/٣.

(٦) فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم سيدة نساء العالمين على أبيها وعليها السلام كانت هي وأختها أم كلثوم أصغر بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم ولدت فاطمة رضي الله عنها سنة إحدى وأربعين من مولد النبي صلى الله عليه وسلم وأنكح رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعد وقعة أحد. انظر: الاستيعاب/ ابن عبد البر ج ٤/ص ١٨٩٣.

(٧) أخرجه الترمذي ٩٩/٤ وقال: (حديث حسن وغريب غير متصل)، والحاكم: ٢٦٥/٤.

(٨) أخرجه الحاكم: ٢٦٤/٤، والبيهقي في الكبرى: ٣٠٣/٩، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: ٥٨/٤: (رواه البزار ورجاله رجال الصحيح).

أسباب لدفع البلاء قبل وقوعه... ————— د. منيرة بنت محمد المطلق

واستدل بقوله (يذبح عنه ويسمى ويحلق) بالواو وعلى عدم اشتراط الترتيب و أميطوا :أزيلوا ومعنى (الأذى) أي شعر رأسه وما عليه من قذر طاهر أو نجس ليخلف الشعر شعر أقوى منه ولأنه أنفع للرأس مع ما فيه من فتح مسام الرأس ليخرج البخار بسهولة وفيه تقوية حواسه^(١). أما العقيقة فتذبح عنه يوم سابعه وفيه دليل على أن وقت العقيقة سابع الولادة وأنها لا تشرع قبله ولا بعده وقيل تجزي في السابع الثاني والثالث فقد أخرج البيهقي^(٢): (العقيقة لسبع ولأربعة عشرة ولأحدى وعشرين)^(٣)^(٤).

٧- ختان المولود: لقد شرع الختان لما فيه من دفع المضرة والأذى عن الصبي ، والآن غير المسلمين اتجهوا نحو الختان لما رأوا فائدته للصحة، وقد ختن صلى الله عليه وسلم الحسن والحسين يوم السابع من ولادتهما^(٥) يقول المباركفوري: (وإذا قلنا بالصحيح استحب أن يختن في

(١) انظر: فيض القدير/ المناوي : ٤ / ٤١٦ .

(٢) البيهقي الإمام الحافظ العلامة شيخ خراسان أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي له مؤلفات منها الأسماء والصفات، والسنن الكبرى، وشعب الإيمان، ودلائل النبوة ت: ٤٥٨ هـ ، انظر: تذكرة الحفاظ/ القيسراني: ٣ / ١١٣٢ .

(٣) أخرجه البيهقي في الكبرى : ٩ / ٣٠٣ بلفظه ، وقال الألباني في سنن الترمذي: ١٥٢٢ (صحيح) .

(٤) انظر: عون المعبود/ الطيب أبادي : ٨ / ٢٨ .

(٥) أخرجه الطبراني في الأوسط : ٧ / ١٢ ، والصغير: ٢ / ١٢٢ ، والبيهقي في السنن: ٨ / ٣٢٤ ، وانظر الذرية الطاهرة: ١ / ٧٦ ، وتنوير الحوالك: ١ / ١٢٨ ، وتحفة المحتاج: ٢ / ٤٩٧ ، وخلاصة البدر المنير: ٢ / ٣٢٩ ، ونيل الأوطار: ١ / ١٣٨ ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: ٤ / ٥٩ : (رواه الطبراني في الكبير ورجاله رجال الصحيح).

اليوم السابع من ولادته وهل يحسب يوم الولادة من السبع أو يكون سبعة سواء فيه وجهان أظهرهما يحسب^(١).

٨- حفظ الصبيان من اللعب في المساء: لقد مر تفصيله في المبحث التاسع من هذا الفصل.

إيراد الأدلة الخاصة بالتحريزات الليلية ومن ضمنها حفظ الصبيان: وقد ذكر الإمام ابن القيم أن سبب منع الأطفال من اللعب تلك الساعة أن الليل إذا أقبل يكون محل سلطان الأرواح الشريرة الخبيثة وفيه تنتشر الشياطين؛ لأن الليل هو محل الظلام، وفيه تتسلط شياطين الإنس والجن أكثر من تسلطها بالنهار؛ لأن سلطان الشياطين إنما يكون في الظلمات والمواضع المظلمة وعلى أهل الظلمة؛ لذلك أمر سبحانه بالاستعاذة من شر الليل والقمر إذا وقب^(٢).

٩- تربية الولد تربية حسنة: لا بد من الاهتمام بهذا الأمر لحفظه وحفظ دينه بإذن الله قال صلى الله عليه وسلم: (كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو يمجسانه أو ينصرانه)^(٣)، وقال صلى الله عليه وسلم: ((من حق الولد على والده أن يحسن أدبه وتعليمه))^(٤).

(١) تحفة الأحوذى: ٢٨/٢، وانظر نيل الأوطار: ١٣٨/١.

(٢) انظر التفسير القيم/ الإمام ابن القيم/ جمع أويس الندوي: ٥٦٠، الحسد/ لؤلؤة المفلح: ٤٠.

(٣) أخرجه البخاري: ٤٥٦/١.

(٤) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان: ٤٠٣/٦، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٤٧: (رواه البزار وفيه عبد الله بن سعيد المقبري وهو متروك).

١٠ - العدل بين الأولاد: لقد كان السلف يعدلون بين البنين حتى في القبلة فكيف بما عداها لأن الجور وعدم العدل يورث الضغينة بينهم فينمو الصبي وقد امتلأت نفسه بالحقد والبغض لأقرب الناس إليه فكيف بالبعيد عنه وهذا من الجور المنهي عنه قال: النعمان بن بشير^(١) : إن أمه بنت رواحة^(٢) سألت أباه بعض الموهوبة من ماله لابنها فالتوى بها سنة ثم بدا له فقالت لا أرضى حتى تشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما وهبت لابني فأخذ بيدي وأنا يومئذ غلام فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، إن أم هذا بنت رواحة أعجبها أن أشهدك على الذي وهبت لابنها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يا بشير ألك ولد سوى هذا؟ قال: نعم فقال أكلهم وهبت له مثل هذا قال: لا، قال: فلا تشهدني إذاً، فإني لا أشهد على جور)^(٣).

(١) النعمان بن بشير بن سعد الأنصاري الخزرجي، كان أول مولود في الإسلام من الأنصار بعد الهجرة بأربعة عشر شهراً قتل النعمان بن بشير في سنة خمس وستين. انظر: الإصابة / ابن حجر: ٦ / ٤٤٠.

(٢) عمرة بنت رواحة أخت عبد الله بن رواحة أم النعمان بن بشير، لما ولدت النعمان بن بشير حملته إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا بتمرة فحنكه بها. انظر: الطبقات الكبرى / ابن سعد: ٦ / ٥٣، والاستيعاب / ابن عبد البر: ٤ / ١٧٨٧.

(٣) أخرجه مسلم: ١٢٤٣/٣.

١١ - تركهم أغنياء غير محتاجين: فعن عامر بن سعد ^(١) عن أبيه قال: عادني النبي صلى الله عليه وسلم عام حجة الوداع من مرض أشفيت منه على الموت، فقلت: يا رسول الله، بلغ بي من الوجع ما ترى، وأنا ذو مال، ولا يرثني إلا ابنة لي واحدة أفأتصدق بثلثي مالي قال: لا، قال: فأتصدق بشرطه قال: لا، الثلث يا سعد، والثلث كثير فإنك أن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس ^(٢).

وحتى لا يشبوا على الفقر والحاجة وإراقة ماء الوجه بالسؤال. يقول ابن حجر قوله: (عالة) أي فقراء قوله: (يتكففون الناس) أي يسألون الناس بأكفهم يقال: تكفف الناس واستكف، إذا بسط كفه للسؤال، أو سأل ما يكف عنه الجوع أو سأل كفاً كفاً من الطعام، وقوله في أيديهم أي بأيديهم، أو سألوا بأكفهم وضع المسؤول في أيديهم ^(٣).

١٢ - الرفق في جميع الأمور وخصوصاً مع الأطفال ورحمتهم: إن الرفق مطلوب بكل أمر وشيء، ومع الوالدين، ومع الناس، فكيف بهؤلاء الضعفاء؟ فقد قال صلى الله عليه وسلم ذاكراً أن الرفق يكون في كل شيء وأنه يزينه، وإذا فقدته كان عيباً ونقصاً وشيناً: (إن الرفق لم يكن في شيء

(١) عامر بن سعد بن أبي وقاص بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة كان ثقة كثير الحديث، ت: ١٠٤هـ، انظر: الطبقات الكبرى/ ابن سعد الزهري: ٥ / ١٦٧.

(٢) أخرجه البخاري: ٣ / ١٤٣١.

(٣) فتح الباري/ ابن حجر: ٥ / ٣٦٦.

أسباب لدفع البلاء قبل وقوعه... د. منيرة بنت محمد المطلق

إلا زانه ولم ينزع من شيء إلا شانه^(١)، وكيف لا يكون زيناً والله يحبه قال صلى الله عليه وسلم: (إن الله يحب الرفق في الأمر كله)^(٢)، والرفق سبب لجلب الخير ودفع البلاء يقول صلى الله عليه وسلم: (من أعطي حظه من الرفق فقد أعطي حظه من خير الدنيا والآخرة وصلة الرحم وحسن الخلق وحسن الجوار يعمران الديار ويزيدان في الأعمار)^(٣)، والرفق فضل من الله يتفضل به على من يشاء من عباده ويكون خيراً لهم يقول صلى الله عليه وسلم: (يا عائشة ارفقي فإن الله إذا أراد بأهل بيت خيراً دلهم على باب الرفق)^(٤)، ومن يفقده يفقد الخير ويحل محله الشر، يقول صلى الله عليه وسلم: (من يحرم من الرفق يحرم الخير)^(٥). لأن الله عز وجل من أسمائه الرفيق فهو يحب الرفق ويعطي عليه: (إن الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف)^(٦).

وقد وردت أحاديث تبين الرفق بالطفل ورحمته من حمله وتقبيله.

(١) أخرجه مسلم: ٢٠٠٤/٤.

(٢) أخرجه البخاري: ٢٥٣٩/٦.

(٣) سبق تخريجه .

(٤) أخرجه أحمد: ١٠٤/٦ ، وقال الألباني في الصحيحة: ٥٢٣ (صحيح) .

(٥) أخرجه مسلم: ٢٠٠٣/٤.

(٦) أخرجه أبو داود: ٢٥٤/٤ ، وأحمد ٨٧/٤ ، وقال الألباني في سنن أبي داود:

٤٨٠٧ (صحيح) .

قال أبو قتادة : خرج علينا النبي صلى الله عليه وسلم وأمامة بنت أبي العاص^(١) على عاتقه فصلّى فإذا ركع وضعها وإذا رفع رفعها^(٢). قال أبو هريرة رضي الله عنه: قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسن بن علي وعنده الأقرع بن حابس التميمي^(٣) جالساً فقال الأقرع إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحداً قط فنظر إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال: (من لا يرحم لا يرحم)^(٤)، وعن عائشة رضي الله عنها قالت : (جاء أَعْرَابِيٌّ إلي النبي صلى الله عليه وسلم -فقال: تُقَبِّلُونَ الصِّبْيَانَ فما نُقِبِلُهُمْ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : (أو أملك لك أن نَزَعَ الله من قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ ؟)^(٥) ، ويقول ابن حجر شارحاً هذه الأحاديث: (وأمامة بنت أبي العاص.. هي ابنة زينب بنت النبي صلى الله عليه وسلم ، وبهذا تظهر مناسبة الحديث للترجمة وهو رحمة الولد وولد الولد ومن شفقتة صلى الله عليه

(١) أمامة بنت أبي العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس بن عبد مناف أمها زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان صلى الله عليه وسلم يحبها وكان ربما حملها على عنقه في الصلاة، الاستيعاب / ابن عبد البر: ٤ / ١٧٨٨.

(٢) أخرجه البخاري: ٢٢٣٥/٥.

(٣) الأقرع بن حابس بن عقال التميمي المجاشعي الدرامي، وفد على النبي ﷺ وشهد فتح مكة، وحنين، والطائف، وهو من المؤلفة قلوبهم، وقد حسن إسلامه. وكان حاكماً في الجاهلية. انظر: الإصابة / ابن حجر: ١٠١/١.

(٤) أخرجه البخاري: ٢٢٣٥/٥.

(٥) أخرجه البخاري ٥ / ٢٢٣٥.

وسلم ورحمته لأمامة أنه كان إذا ركع أو سجد يخشى عليها أن تسقط فيضعها وكأنها كانت لتعلقها به لا تصبر في الأرض فتجزع من مفارقتها فيحتاج أن يحملها إذا قام واستنبت منه بعضهم عظم قدر رحمة الولد لأنه تعارض حينئذ المحافظة على المبالغة في الخشوع والمحافظة على مراعاة خاطر الولد فقدم الثاني ويحتمل أن يكون صلى الله عليه وسلم إنما فعل ذلك لبيان الجواز... قوله: ((من لا يرحم لا يرحم)).. أي الذي يفعل هذا الفعل لا يرحم^(١).

١٣ - ألا يضرب الطفل دون سن العاشرة من العمر: لأنه لم يرد في الشريعة أمر بضرب الأطفال على شيء إلا على الصلاة الركن الثاني من أركان الإسلام فهي من أعظم الأعمال بعد الشهادة ومع ذلك لا يضرب الطفل على تركها قبل سن العاشرة وبعد أن يكرر الأمر عليه بصلاتها خمس مرات باليوم لمدة ثلاث سنوات قال صلى الله عليه وسلم: (مروا صبيانكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر)^(٢) فكيف يضرب الطفل على أمر من أمور الدين يأتي بعدها بالمرتبة أو على أي شيء آخر من أمور الدنيا فالله الله في الرفق بهم وضبط الأعصاب وعدم الغضب عند التعامل معهم فقد تضرب الأم طفلها لأنه كسر شيئاً من الآنية أو غيرها فهل تكسر نفس ابنها؟ أيهما

(١) فتح الباري/ ابن حجر: ٤٢٩/١٠.

(٢) أخرجه أبو داود: ١٣٣/١، وقال الألباني: في إرواء الغليل ٢٩٨ (صحيح)، وأحمد ١٨٠/٢، والحاكم: ٣١١/١، والدارقطني: ٢٣٠/١.

أغلى عندها ؟

***وعند إرادة ضرب الطفل فوق سن العاشرة على المؤدب ملاحظة أن :**

- أ- يكون الضرب للتأديب لا للانتقام كما يشاهد من بعض الناس .
- ب - يرفق بالطفل أثناء الضرب ولا يضرب بما يسبب عاهة.
- ج - لا يضرب الوجه. نعم عليه أن يتجنب الضرب في بعض المواضع التي قد يتسبب الضرب فيها بعاهة أو موت فلا يضربه فيها ومنها الوجه، فعن جابر رضي الله عنه قال: (نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الضرب على الوجه وعن الوسم في الوجه)^(١) ؛ لأن الوجه مقر الحسن والجمال فهو لطيف يجمع المحاسن لشرف أعضائه فهو يجمع الحواس، فإن أكثر ما يقع الإدراك به من أعضائه فيخشى من ضربه أن تبطل أو تتشوه كلها أو بعضها. والشين فيها فاحش لظهورها وبروزها بل لا يسلم إذا ضربه غالباً من شين^(٢)، والآن الدراسات الغربية تتحدث الآن عن ضرب الوجه وتذكر أنه يسبب العقد النفسية.

(١) أخرجه مسلم: ١٦٧٣/٣، وفي رواية: (إذا ضرب أحدكم فليترك الوجه) أخرجه أبو داود:

١٦٧/٤، وقال الألباني: في سنن أبي داود: ٤٤٩٣ (صحيح) وفي رواية: (إذا قاتل

أحدكم فليجتنب الوجه)، أخرجه أبو داود: ٩٠٢ / ٢، وقال الألباني في صحيح الأدب

المفرد ١٣٠ / ١٧٤ : (صحيح) .

(٢) أنظر: الجامع لأحكام القرآن القرطبي: ١٦٧ / ٥، فتح الباري/ابن حجر: ١٨٤ / ٥ .

أسباب لدفع البلاء قبل وقوعه... ————— د. منيرة بنت محمد المطلق

١٤ - الدعاء للطفل بالخير: فعلى الوالد أن يدعو للأطفال بخيري الدنيا والآخرة من الحفظ والعافية والتسديد فقد أخبر المصطفى صلى الله عليه وسلم: (أن دعاء الوالد لولده مستجاب)^(١).

١٥ - تعويد الأطفال: ينبغي للمسلم تعويد بنيه، إذا نزل منزلاً يعوذهم وفي الصباح والمساء كما مر في التعويد^(٢)، فقد (كان النبي صلى الله عليه وسلم يعوذ الحسن والحسين يقول:

(أعيدكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة ثم يقول هكذا كان يعوذ إبراهيم ابنه إسماعيل وإسحاق)^(٣).
والأفضل أن يكون هذا التعويد صباحاً ومساءً وأن يكون ثلاث مرات^(٤).

١٦ - عدم الدعاء على الأطفال: فقد قال صلى الله عليه وسلم: (ثلاثة لا ترد دعوتهم وذكر منها دعوة (الوالد على ولده). فالواجب على الوالد أن يتقي ربه في ولده فلا يدعو عليه بما يسبب للولد ووالده المضايق والشدائد فإن أول من يحزن لحال الولد الوالد قبل ولده ودعوة الوالد

(١) أخرجه ابن ماجه : ٢ / ١٢٧٠ ، والبيهقي في الكبرى : ١٠ / ٢٠١ ، وقال الألباني: في صحيح الجامع الصغير ٣٠٣٢ (حسن)..

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه الترمذي: ٤/٣٩٦، وقال: (هذا حديث حسن صحيح)، والحاكم ٣/١٨٣، وقال: (صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه) ، وابن حبان ٣/٢٩٢.

(٤) سبق تخريجه ٦٧ .

مستجابة حتى ولو كان الولد صالحا فقد دعت أم الراهب العابد جريج على ابنها وهي المرأة العادية ومن عامة الناس على العابد الراهب فاستجيب دعوتها^(١)، وقال فضيلة الشيخ سعيد بن مسفر القحطاني - وفقه الله - : (أخبرني رجل من الناس بقصة حصلت له، قال: كان عندي ولد بار بي وفي أحد الأيام أتى إلي ابني ونحن نريد أن ننام، فقال : يا أبت، أنا قد تعبت من المذاكرة، وأريد أن أخرج قليلاً وأعود للبيت بعد نصف ساعة، فقال الأب: يا ولدي، لا تخرج الله يهديك، الناس نيام وأنت قد لبست ثوب النوم، فقال الابن: سوف أخرج بثوب النوم وأعود فقال الأب: لا، فلم يراجعه الابن؛ لأنه بار وطيب، ثم ذهب ورأته أمه فقالت ماذا بك؟ قال: طلبت من أبي أن أخرج قليلاً، فأبى، فذهبت الأم إلى الأب وقالت: ولدنا طيب وفيه خير. دعه يذهب ويرجع، ومع الضغوط وافق الأب وقال: دعيه يخرج الله لا يرده، يقول: قلت ذلك وأنا لست بصادق، وكأنها خرجت من فمي وباب السماء مفتوح، يقول: ذهب الولد ومضت ساعة، وساعة ونصف، وساعتان ولم يأت الولد أذن للفجر ولم يأت، فصار قلبي فيه مثل طعنة الرمح، وعرفت أنها الدعوة، يقول الأب: ثم صليت ورجعت إلى البيت ولم يأت ابني، فذهبت للشرطة فاتصلوا بالأجهزة، وقالوا هناك حوادث ووفيات، اذهب للمستشفى، فذهبت وفتحوا الثلاجة وإذا ابني آخر

(١) أخرجه البخاري : ٣ / ١٢٦٨ ، ومسلم : ٤ / ١٩٧٦ .

أسباب لدفع البلاء قبل وقوعه... د. منيرة بنت محمد المطلق

واحد قد مات بعد حادث، وهو بثوب نومه، فأخرجناه وصلينا عليه ودفناه، وعرفت عندها أنني أنا السبب دعوت فاستجيبت دعوتي^(١).

١٧- قول (ما شاء الله) على الأولاد و المال: فقد قال رسول الله ﷺ: (ما أنعم الله على عبد نعمة من مال أو أهل أو ولد فقال ما شاء الله لا قوة إلا بالله فيرى فيها آفة دون الموت) وقرأ ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾^(٢) بقدرتك وقوتك ولو شاء لنزع البركة منه فلم يجتمع ومحقه فلا يستطيع على شيء منه^(٣) لأنه لا قدرة ولا قوة للإنسان على حفظ بدنه وماله أو دفع شيء عنها إلا بالله^(٤) ويقول الشوكاني إن ذلك تحضيض له على الاعتراف بأنها وما فيها بمشيئة الله إن شاء أبقاها،

(١) من عجائب الدعاء/ خالد الربيعي: ٨٣، ٨٤.

(٢) سورة الكهف: ٣٩.

(٣) أخرجه الطبراني في الأوسط: ١٢٦/٦، والصغير: ٣٥٢/١، وقال: (لا يروى هذا الحديث عن أنس إلا بهذا الإسناد تفرد به عمر بن يونس)، والبيهقي في الشعب: ٩٠/٤ و ١٢٤، والبغدادى في موضع أوهام الجمع والتفريق: ٤٣٩/٢، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد: ١٤٠/١٠، وقال: (رواه الطبراني في الصغير والأوسط وفيه يونس بن تميم وهو ضعيف) ثم قال (وعن عقبة بن عامر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((من أنعم الله عليه بنعمة فأراد بقاءها فليكثر من لا حول ولا قوة إلا بالله...)) رواه الطبراني في الأوسط وفيه عبدالرحمن بن خالد بن نجيع وهو ضعيف)، وابن كثير في التفسير ٨٥/٣، وقال: (قال الحافظ أبو الفتح الأردى: عيسى بن عون عن عبدالملك بن زرارة عن أنس لا يصح حديثه). وضعفه الألباني في ضعيف الجامع: ٨٦/٥.

(٤) انظر: الجامع لأحكام القرآن/ القرطبي: ٤٠٦/١٠.

(٥) انظر تفسير البغوي: ١٦٣/٣، وزاد المسير: ١٤٤/٥.

وإن شاء أفناها، وعلى الاعتراف بالعجز وأن ما تيسر له من عمارتها إنما هو بمعونة الله لا قوته وقدرته، قال الزجاج لا يقوى أحد على ما في يده من ملك ونعمة إلا بالله، ولا يكون إلا ما شاء الله ثم لما علمه الأمان وتفويض الأمور إلى الله سبحانه^(١) لأن الله هو المنعم والمعطي فلا حول ولا قوة إلا بالله ولا ملجأ ولا منجى منه إلا إليه سبحانه^(٢)، فالأمر التي تحفظ الولد بإذن الله وتدفع عنه البلاء كما مر ذكرها هي: اختيار الأب الصالح فقد قال - صلى الله عليه وسلم - ((إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه))^(٣)، والأم ذات الدين). قال: - صلى الله عليه وسلم - (تُنَكِّحُ الْمَرْأَةَ لِأَرْبَعٍ لِمَالِهَا وَلِحَسْبِهَا وَجَمَالِهَا وَلِدِينِهَا فَاطْفَرُ بِذَاتِ الدِّينِ تَرَبَّتْ يَدَاكَ)^(٤) و البسمة والذكر والدعاء قبل تكوين خلق الطفل، والأذان في أذن المولود اليمنى والإقامة في اليسرى: و تحنيكه والتبريك عليه عند ولادته و اختيار الاسم الحسن له وحلق رأسه ذكراً كان أم أنثى وختان الصبي وحفظ الأطفال من اللعب في المساء وتربيتهم تربية حسنة والعدل بينهم وتركهم أغنياء غير محتاجين، والرفق بهم ورحمتهم، وألا يضربهم دون سن العاشرة من العمر وأن يكثر الوالد من الدعاء لولده بالخير ويحرص على تعويذهم وعدم الدعاء عليهم.

(١) فتح القدير، للشوكاني ٢٨٧/٣، وانظر تفسير أبي السعود: ٢٢٣/٥، والبيضاوي: ١٠٥/٣.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى / ابن تيمية: ٣٤١/١٤.

(٣) أخرجه: ابن ماجه ج ١/ص ٦٣٢، و الترمذي ج ٣/ص ٣٩٥ وقال: (هذا حديث حسن غريب).

(٤) أخرجه البخاري: ج ٥/ص ١٩٥٨، و مسلم: ج ٢/ص ١٠٨٦.

الفصل الثاني : أسباب رفع البلاء بعد وقوعه :

وفيه أربعة مباحث هي :

المبحث الأول : الحبة السوداء .

المبحث الثاني : الشفاء في ثلاث .

المبحث الثالث : الصبر .

المبحث الرابع : ماء زمزم

أسباب لدفع البلاء قبل وقوعه... د. منيرة بنت محمد المطلق

تمهيد :

إذ أصاب المسلم البلاء فله رفعه بالأسباب المشروعة والتداوي بعد وقوعه - بإذن الله-: ويستيقن أن الله تعالى هو الشافي يقول تعالى عن نبيه إبراهيم أنه قال: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾^(١)، وقد أباح الله عز وجل التداوي بأنواع الأدوية لكن بشرط أن تكون حلالاً، قال صلى الله عليه وسلم: ((تداووا عباد الله فإن الله سبحانه لم يضع داء إلا وضع معه شفاء إلا الهرم))^(٢) ومن أعظم التداوي والاستشفاء من الأمور الحسية والمعنوية القرآن الكريم قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾^(٣) وقال تعالى: ﴿فَتِلْكَ لَهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْرِجُهُمْ وَيُخْزِيهِمْ وَيَضْرِبُهُمْ عَلَى عُنُقِهِمْ وَيُشْفِي صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ﴾^(٤).
فهذه الآية تبين أن القرآن سبب للشفاء من مرض الشبهات والكفر والشرك والنفاق وشفاء للمرض العضوي من سل أو غيره ﴿وَنَزَّلُ مِنَ

(١) الشعراء: ٨٠.

(٢) أخرجه أبو داود : ٣/٤، والنسائي في الكبرى ١٣٤/٤، وقال الألباني في صحيح ابن ماجه: ٢٥٢/٢، (حسن صحيح) وأخرجه البخاري بلفظ (ما أنزل الله داء إلا أنزل له

شفاء) ٢١٥١/٥.

(٣) سورة يونس، آية: ٥٧.

(٤) سورة:التوبة: ١٤.

أَلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿١﴾ وقد خصه الله عز وجل بأنه شفاء ورحمة وهدى للمؤمنين، يقول الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ﴾^(٢).

المبحث الأول: الحبة السوداء :

قد ذكر صلى الله عليه وسلم أن الحبة السوداء شفاء من كل مرض وداء، قالت عائشة: سَمِعَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (إِنَّ هَذِهِ الْحَبَّةَ السَّوْدَاءَ شِفَاءٌ مِنْ كُلِّ دَاءٍ إِلَّا مِنَ السَّامِ) قلت: وما السَّام؟ قال: الْمَوْتُ^(٣). وفي رواية (إن في الحبة السوداء)^(٤) ذكر الإمام ابن القيم أن قوله: (شفاء من كل داء) مثل قوله تعالى: ﴿تُدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾^(٥) أي كل شيء يقبل التدمير ونظائره^(٦).

(١) سورة الإسراء، آية: ٨٢.

(٢) سورة فصلت، آية: ٤٤.

(٣) أخرجه البخاري ٢١٥٤٥/٥.

(٤) أخرجه: مسلم ١٧٣٥/٤.

(٥) سورة الأحقاف، آية: ٢٥.

(٦) زاد المعاد/ابن القيم : ٢٩٧/٤.

أسباب لدفع البلاء قبل وقوعه... _____ د. منيرة بنت محمد المطلق

طرق التداوي بالحبة السوداء:

هناك طرق كثيرة للتداوي بالحبة السوداء منها ما ذكره ابن أبي عتيق بقوله: ((عليكم بهذه الحبيبة السوداء، فخذوا منها خمساً أو سبعاً فاسحقوها ثم اقطروها في أنفه بقطرات زيت في هذا الجانب وفي هذا الجانب))^(١). ومن هذه الطرق أيضاً ما ذكر عن الصحابة وبعض التابعين، ومنها ما ذكر عن أهل الطب يقول الإمام ابن حجر عن تداوي الصحابة وأهل الطب بها: (وهذا الذي أشار إليه ابن أبي عتيق^(٢) ذكره الأطباء في علاج الزكام العارض معه عطاس كثير وقالوا تقلى الحبة السوداء ثم تدق ناعماً ثم تنقع في زيت ثم يقطر منه في الأنف ثلاث قطرات ... وظاهر سياقه أنها موقوفة عليه^(٣) ويحتمل أن تكون عنده مرفوعة .

وعن عبد الله بن بريدة^(٤) عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (إن هذه الحبة السوداء فيها شفاء).^(٥) الحديث وفي لفظ: قيل وما الحبة السوداء قال (الشونيز) قال وكيف أصنع بها قال: (تأخذ إحدى وعشرين حبة

(١) أخرجه البخاري ٢١٥٣/٥ .

(٢) هو عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق.

(٣) أي: ابن أبي عتيق .

(٤) عبد الله بن بريدة بن الحبيب الأسلمي أبو سهل روى عن أبيه وابن عباس وابن عمر وعبد الله بن عمرو وابن مسعود وعن عبد الله بن بريدة قال ولدت لثلاث خلون من

خلافة عمر ،انظر: تهذيب التهذيب /ابن حجر: ٥ / ١٣٧-١٣٨

(٥) أخرجه البخاري : ٥ / ٢١٥٤ ، ومسلم : ٤ / ١٧٣٦ .

فتصرها في خرقة ثم تضعها في ماء ليلة فإذا أصبحت قطرت في المنخر الأيمن واحدة وفي الأيسر اثنتين فإذا كان من الغد قطرت في المنخر الأيمن اثنتين وفي الأيسر واحدة فإذا كان اليوم الثالث قطرت في الأيمن واحدة وفي الأيسر اثنتين^(١) ويؤخذ من ذلك أن معنى كون الحبة السوداء شفاء من كل داء أنها لا تستعمل في كل داء صرفاً بل ربما استعملت مفردة وربما استعملت مركبة وربما استعملت مسحوقة وغير مسحوقة وربما استعملت أكلاً وشرباً وسعوطاً وضماً وغير ذلك^(٢).

المبحث الثاني حديث: (الشفاء في ثلاث):

ومن الأدوية النافعة أيضاً العسل، والحجامة، والكي، قال الرسول صلى الله عليه وسلم: (الشفاء في ثلاثة شربة عسل وشرطة محجم وكية نار وأنهى أمتي عن الكي)^(٣)، وفي هذه الرواية خص هذه الأدوية بالمنفعة دون غيرها فدل على فائدتها العظيمة.

أولاً: العسل: ومن هذه الأدوية العسل قال تعالى: ﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾^(٤).

-
- (١) أخرجه الترمذي : ٤ / ٤٠٢ وقال المباركفوري في تحفة الأحوزي ١٦٣/٦: (قال المناوي: (إسناده صحيح)).
- (٢) فتح الباري/ابن حجر ١٠/١٤٥، وانظر تحفة الأحوزي/ المباركفوري ١٦٣/٦.
- (٣) أخرجه البخاري ٥/٢١٥١، مسلم ٥/٢١٥٢.
- (٤) النحل: ٦٩.

أسباب لدفع البلاء قبل وقوعه... _____ د. منيرة بنت محمد المطلق

يقول ابن كثير: (شفاء للناس أي في العسل شفاء للناس أي من أدواء تعرض لهم قال بعض من تكلم ... لو قال فيه الشفاء للناس لكان دواء لكل داء ولكن قال فيه شفاء للناس أي يصلح لكل أحد من أدواء باردة فإنه حار والشيء يداوى بضده)^(١). ومنافع العسل لا تكاد تحصى فمن أراد الاستزادة فليرجع للكتب التي كتبت وألفت عنه وحوله.

ثانياً: الحجامة: الحجامة تشفي جميع الأمراض (يقينا) بإذن الله كضغط الدم والسكر والسرطان وأمراض القلب والدم والكلية والرئة والجلطات والعقم... إلخ.

فلقد اكتشفت الأبحاث الطبية هذا العلاج الأكيد للأمراض المستعصية، فقد أجرى الحجامة فريق طبي مكون من ١٥ طبيباً من كلية الطب بجامعة دمشق لأكثر من ٣٠٠ شخص اعتمد فيها على أخذ عينات من الدم الوريدي قبل وبعد الحجامة، وبعد إخضاع هذه العينات لدراسات مخبرية كاملة تم التوصل إلى نتائج مذهلة، لوحظ فيها اعتدال في ضغط الدم والنبض وانخفاض في كمية السكر في الدم، وارتفاع عدد الكريات الحمر بشكل طبيعي، وارتفاع في عدد الكريات البيض، وزيادة عدد الصفيحات الدموية، كما لوحظ اعتدال شوارد الحديد بالدم، واعتدال السعة الرابطة بين الحجامة وانخفاض كمية الشحوم الثلاثية في الدم،

(١) تفسير القرآن العظيم/ ابن كثير ٥٧٦/٢، وانظر فتح الباري/ ابن حجر: ١٤٥/١٠، وتحفة الأحوذى/ المباركفوري: ٢١٤/٦.

وانخفاض الكوليسترول عند الأشخاص المصابين بارتفاعه.^(١)، فكيف لا تكون هذه النتائج لهذا العلاج .

وقد حث المصطفى على الحجامة وبين أنها من الأدوية النافعة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (الشفاء في ثلاثة شربة عسل وشرطة محجم وكية نار وأنهى أمتي عن الكي)^(٢)، وفي هذه الرواية حصر هذه الأدوية بالمنفعة دون غيرها فدل على فائدتها العظيمة.

يقول الخطابي: (انتظم هذا الحديث على جملة ما يتداوى به الناس وذلك الحجم يستفرغ به الدم وهو أعظم الأخلاط والحجم أنجحها شفاء عند هيجان الدم...) ^(٣) وقال صلى الله عليه وسلم : ((إن في الحجم شفاء)) ^(٤)، وقال صلى الله عليه وسلم: ((إن أمثل ما تداويتم به الحجامة والقسط

(١) انظر: كتاب الحجامة مختصر كتاب الدواء العجيب مبحث في الحجامة والسرطان للعلامة العربي الكبير محمد أمين شيخو ولد في دمشق (١٣٠٨ هـ - ١٨٩٠ م)، والعلاج بالحجامة/محمد أحمد عيسى، وعالج نفسك بالحجامة/أحمد جاد ، وعجائب الطب النبوي/ أيمن الحسيني، والحجامة شفاء/أيمن الحسيني وانظر المواقع التالية

<http://www.thingsnotsaid.org/> • <http://www.khayma.com/roqia>

(٢) سبق تخريجه.

(٣) فتح الباري /ابن حجر ١٠/١٣٩، وانظر المفهم شرح صحيح مسلم مخطوطة / القرطبي ٨٩/أ..

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه : ٥ / ٥٨ وصححه الألباني في صحيح الجامع :

..٢١٢٨

أسباب لدفع البلاء قبل وقوعه... _____ د. منيرة بنت محمد المطلق

البحري^(١) وقال لا تعذبوا صبيانكم بالغمز من العذرة^(٢) وعليكم بالقسط)) وفي رواية قال: ((إن أفضل ما تداويتم به الحجمة أو هو من أمثل دوائكم)^(٣).

وفي رواية : ((خير ما تداويتم به الحجمة))^(٤). وقال: أخبرني جبريل: ((أن الحجم أنفع ما تداوى به الناس))^(٥). ويتبين من الأحاديث السابقة أن الحث على الحجمة أتى على ألفاظ منها خير، أنفع، أفضل ويدل ورودها مترادفة على عظيم نفعها. لكن هل يوجد موانع للحجمة؟ لا يوجد إطلاقاً؛ لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (إن في الحجم شفاء)^(٦).

(١) هو :عقار معروف وهو العود الهندي وهو كست أظفار وقيل هو العود الذي يتبخر به.
انظر: النهاية في غريب الحديث /ابن الأثير: ٣ / ٣١٧، وقال الفراهيدي: (القسط عود هندي يجعل في البخور والدواء) ١ - العين ج: ٥ ص: ٧١ .

(٢) (هو وجع في الحلق يهيج من الدم وقيل: هي قرحة تخرج في الحزم الذي بين الحلق والأنف يعرض للصبيان) لسان العرب/ابن منظور: ٤ / ٥٥٣.

(٣) أخرجه مسلم: ٣ / ١٢٠٤، وفي رواية (إن أفضل ما تداويتم به الحجمة والقسط البحري ولا تعذبوا صبيانكم بالغمز) .

(٤) أخرجه أحمد: ٣ / ١٠٧ ، والنسائي في الكبرى: ٤/ ٣٧٦، و صححه الألباني في صحيح الجامع ٣٣٢٣.

(٥) أخرجه النسائي في الكبرى: ٤/ ٣٧٦، و الحاكم: ٤/ ٢٢٢، وقال: (صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه) ، و صححه الألباني في صحيح الجامع ٢١٨.

(٦) أخرجه ابن أبي شيبة: ٥/ ٥٨، وأورده الهندي في الكنز: ١٠/ ٧، و صححه الألباني في صحيح الجامع ٢١٨.

وما كان أحد يشتكي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعا في رأسه إلا قال: ((احتجم ولا وجعا في رجله إلا قال اخضبهما بالحناء))^(١).

والحجامة تناسب حتى مرضى السكري والناعور (سيلان الدم) فلا يمنعون من الحجامة، وقد تستخدم الحجامة كوقاية وعلاج من الأمراض والدليل حديث أنس بن مالك^(٢) رضي الله عنه قال، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما مررت ليلة أسري بي بملء من الملائكة إلا قالوا: يا محمد مُر أمتك بالحجامة).^(٣) ، وفي رواية: (عليك يا محمد بالحجامة).^(٤)، ويقول ﷺ: (واحتجموا لا يتبيغ^(٥) بكم الدم فيقتلكم).^(٦)

(١) أخرجه أبو داود: ٤ / ٤، وأحمد: ٦ / ٤٦٢، وقال الألباني في الصحيحة: ٢٠٥٩ (صحيح).

(٢) أنس بن مالك بن النضر الأنصاري الخزرجي البصري خادم رسول الله يكنى أبا حمزة أمه أم سليم بنت ملحان الأنصارية كان مقدم النبي المدينة وهو ابن عشر سنين. انظر: الاستيعاب/ ابن عبد البر ١٠٩/١

(٣) أخرجه الترمذي: ٤ / ٣٩٠، وقال (هذا حديث حسن غريب) و صححه الألباني في صحيح الجامع ٥٦٧١ وصحيح ابن ماجه ٢٨١٩.

(٤) أخرجه: أبو داود: ٤/٤، و الترمذي: ٤ / ٣٩١، والحاكم: ٤ / ٢٣٣ وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، و صححه الألباني في صحيح ابن ماجه ٢٨١٨..

(٥) يتبيغ: يتهيج انظر مختار الصحاح/الرازي: ٢٨.

(٦) أخرجه ابن ماجه: ١١٥٣/٢، والحاكم: ٤ / ٢٣٥، وقال: (حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه) .

أسباب لدفع البلاء قبل وقوعه... د. منيرة بنت محمد المطلق

مواضع الحجامة:

الهامة: فقد احتجم النبي صلى الله عليه وسلم بطريق مكة وهو محرم وسط رأسه^(١)

الأخدعين: قال ابن منظور إنهما عرقان: (في الرقبة خلف الأذنين).

وقال أيضا إنهما: (عرقان في جانبي العنق)^(٢)

الكاهل : ومكانه (أعلى الظهر ما بين الكتفين)^(٣).

فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحتجم في الأخدعين والكاهل وكان يحتجم لسبع عشرة وتسع عشرة وإحدى وعشرين^(٤) فعن علي قال: نزل جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم بحجامة الأخدعين والكاهل^(٥)

ظاهر القدمين و(الموضع معروف) لفعله صلى الله عليه وسلم^(٦).

(١) أخرجه مسلم : ٢ / ٨٦٢.

(٢) انظر لسان العرب/ابن منظور: ٦٦/٨.

(٣) انظر مختار الصحاح/الرازي : ٢٤٢.

(٤) أخرجه: أبو داود: ٤/٤ ، والترمذي : ٣٩٠/٤، وقال: (هذا حديث حسن غريب ، والحاكم ٢٣٤/٤ وقال: (صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه).

(٥) أخرجه ابن ماجه : ١١٥٢/ ٢ ، وأورده الهندي في الكنز: ٣٧/١٠، وقال الكنانى في مصباح الزجاجة: ٦٢/٤: (هذا إسناد ضعيف.. وله شاهد من حديث أنس رواه أبو داود وابن ماجه والترمذي وقال حسن).

(٦) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه: ٤ / ١٨٧

أوقات الحجامة:

في حال الصحة. تستحب في السابع عشر أو التاسع عشر أو الحادي والعشرين من الشهر العربي، والدليل حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله، صلى الله عليه وسلم قال: (من أراد الحجامة فليتحجر سبعة عشر، أو تسعة عشر، أو إحدى وعشرين، لا يتبيغ بأحدكم الدم فيقتله) ^(١) أما في حال المرض فتعمل في أي وقت؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: (إذا هاج بأحدكم الدم فليحتجم، فإن الدم إذا تبيغ بصاحبه يقتله) ^(٢).

وكان الإمام أحمد - رحمه الله - يحتجم في أي وقت هاج به الدم وفي أي ساعة كانت. ولا يعني ذلك أنها لا تعمل في الأيام المستحبة (١٧ و ١٩ و ٢١) من الشهر العربي، وإنما المقصود أنها تعمل مباشرة عند وجود المرض، كما دل عليه الحديث السابق ذكره: (إذا هاج بأحدكم الدم...). وتستحب أن تعمل في الأيام المستحبة أيضاً، خصوصاً إذا لم يزل المرض بالكلية. وتوجد الحجامة الآن في كثير من المراكز الصحية حيث النظافة والتعقيم والعناية الصحية، والأفضل أن يستخدم السعوط بعد الحجامة لأن النبي صلى الله عليه وسلم: احتجم وأعطى الحمام أجره واستعط) ^(٣) وأفضل السعوط القسط.

(١) أخرجه ابن ماجه : ٢ / ١١٥٣ وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه ٢٨٢٤.

(٢) أخرجه أبو يعلى في مسنده: ١ / ٣٨٦ وصححه الألباني في (الصحيحة ٢٧٤٧).

(٣) أخرجه البخاري : ٥ / ٢١٥٤، ومسلم : ٣ / ١٢٠٥.

ثالثاً: الكي: انتظم الحديث: (الشفاء في ثلاث..)^(١) على جملة ما يتداوى به الناس وذلك الحجم يستفرغ به الدم وهو أعظم الأخلاط والحجم أنجحها شفاء عند هيجان الدم وأما العسل فهو مسهل للأخلاط البلغمية ويدخل في المعجونات ليحفظ لتلك الأدوية قواها ويخرجها من البدن وأما الكي فإنما يستعمل في الخلط الباغي الذي لا تنحسم مادته إلا به لهذا جعل من أسباب الشفاء وإنما نهى عنه وكرهه^(٢) لما فيه من الألم الشديد والخطر العظيم ولهذا العرب تقول في أمثالها آخر الدواء الكي وقد كوى النبي صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ^(٣) وغيره واكتوى غير واحد من الصحابة^(٤) ولم يرد النبي صلى الله عليه وسلم حصر الشفاء في هذه الثلاثة فإن الشفاء قد يكون في غيرها إنما نبه على أصول العلاج و الكي آخر العلاج لإخراج ما يتعسر إخراجاً من الفضلات وإنما نهى عنه مع إثباته الشفاء فيه لكونهم كانوا يرون حسم المادة بطبعه فكرهه لذلك فقد كانوا يبادرون إليه قبل حصول الداء لظنهم أنه يمنع الداء فيتعجل الذي يكتوي التعذيب بالنار لأمر مظنون، وهو لا يتفق أن يقع له ذلك المرض

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه أحمد : ١٤٦/٤ ، وقال المناوي في التيسير بشرح الجامع الصغير : ١/ص ٤٦٦ : رواه أحمد (بإسناد حسن) .

(٣) أخرجه أحمد : ٣٦٣/٣ ، وقال الألباني في سنن أبي داود : ٤٨٦٦ (صحيح).

(٤) منهم خباب بن الارت رضي الله عنه أخرجه أحمد ١١٠/٥ ، والترمذي ٣٢/٣ ، وقال حديث : (حسن صحيح).

الذي يقطعه الكي، و الجمع بين كراهته واستعماله له ألا يتركه مطلقاً ولا يستعمله مطلقاً بل يستعمل عند تعيينه طريقاً إلى الشفاء مع مصاحبة اعتقاد أن الشفاء بإذن الله تعالى^(١).

المبحث الثالث : الصبر :

الصبر سبب من أسباب رفع البلاء والنصر على الأعداء ، والصابر على البلاء يحوز على رضا الرحمن وعلى الفرج والخروج من مضايقه .

معنى الصبر في اللغة هو: الحبس^(٢).

معنى الصبر في الاصطلاح :

يقول ابن القيم: (حبس النفس عن الجزع، واللسان عن التشكي، والجوارح عن لطم الخدود وشق الثياب ونحوها)^(٣) ، والعبد دائماً بين الشكر والصبر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان

(١) انظر: فتح الباري/ابن حجر: ١٣٩/١٠، وانظر المفهم شرح صحيح مسلم مخطوطة / القرطبي ٨٩/أ، وشرح ابن بطل على البخاري اللوحة : ١٨٣ الورقة أ ، الأزهر رقم (٣٨٣٧) (٥٣١٠٥) ، وعارضة الأحوزي/ابن العربي ٢٠٨/٧، وتأويل مختلف الحديث ٢٠١، وفتح المنعم : ٢٩٤/٢، والآداب الشرعية/ابن مفلح ٤٥٩/٢، وبهجة النفوس ١٢٩/٤ ونيل الأوطار/الشوكاني: ٩٥/٩، وتحفة الأحوزي/المباركفوري ٢٠٥/٦.

(٢) انظر لسان العرب/ابن منظور: ٤٣٨/٤.

(٣) عدة الصابرين/ ابن القيم: ٢٧.

خيراً له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له^(١)

يقول شيخ الإسلام عند قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ، وَنَعَّمَهُ، فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾ (١٥) وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ، فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ ﴿^(٢) فالجواب يقول ما كل من وسعت عليه أكرمه ولا كل من قدرت عليه أكون قد أهنته، بل هذا ابتلاء، ليشكر العبد على السراء ويصبر على الضراء، فمن رزق الشكر والصبر كان كل قضاء يقضيه الله خيراً له كما في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (لا يقضي الله للمؤمن من قضاء إلا كان خيراً له وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له)^(٣)، فالمؤمن يصبر على البلاء ولكن لا يسأل الله الصبر قبل وقوع البلاء. قال صلى الله عليه وسلم لرجل سمعه يقول: (اللهم إني أسألك الصبر، فقال لقد سألت الله البلاء، فسله العافية)^(٤). لكن عند وقوع الضيق والشدة يسأل العبد ربه الصبر على ما ابتلي به قال تعالى: ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا

(١) أخرجه مسلم : ٤ / ٢٢٩٥.

(٢) الفجر : ١٥ : ١٦ .

(٣) الفتاوى الكبرى/ابن تيمية: ٢٦٢/١، وانظر مدارج السالكين/ ابن القيم: ٨٠/١.

(٤) أخرجه: الترمذي ج ٥/ص ٥٤١، وقال: (هذا حديث حسن).

صَبْرًا وَثَبَّتْ أَقْدَامَنَا وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُمْ
يَاذَنْبِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا
يَشَاءُ ﴿٢٥١﴾. وإفراغ الصبر هنا: الصب أي اصعب^(١). يقول الإمام الطبري عند
تفسيره هذه الآية: وأما قوله: (رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا) فإنه يعني أن طالوت
وأصحابه قالوا (رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا) يعني أنزل علينا صبراً وقوله
(وَتَثَبَّتْ أَقْدَامَنَا) يعني وقو قلوبنا على جهادهم لتثبت أقدامنا فلا ننهزم
عنهم (وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ) الذين كفروا بك فجحدوك إلهاً
وعبدوا غيرك واتخذوا الأوثان أرباباً: ﴿ فَهَزَمُوهُمْ يَاذَنْبِ اللَّهِ وَقَتَلَ
دَاوُدُ جَالُوتَ وَءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ ﴾^(٢) يعني
تعالى ذكره بقوله فهزم طالوت وجنوده أصحاب جالوت وقتل داود
جالوت وفي هذا الكلام متروك ترك ذكره اكتفاء بما ظهر منه عليه وذلك
أن معنى الكلام: ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا
وَتَثَبَّتْ أَقْدَامَنَا وَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ فاستجاب لهم ربهم

(١) سورة البقرة، آية: ٢٥٠ - ٢٥١.

(٢) العين / الفراهيدي ٤ / ٤٠٨.

(٣) البقرة: ٢٥١.

أسباب لدفع البلاء قبل وقوعه... ————— د. منيرة بنت محمد المطلق

فأفرغ عليهم صبره وثبت أقدامهم ونصرهم على القوم الكافرين فهزموهم بإذن الله ولكنه ترك ذكر ذلك اكتفاء) . قوله ﴿ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ على أن الله قد أجاب دعاءهم الذي دعوه به ومعنى قوله ﴿ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ قتلوهم بقضاء الله وقدره (١).

فالعبد إذا ابتلي بأمر يصبر فقد قال صلى الله عليه وسلم: (اعلم أن مع الصبر النصر واعلم أن مع الكرب الفرج، واعلم أن مع العسر اليسر) (٢)، وأمر سبحانه وتعالى بالاستعانة بالصبر فالذي يصبر يكون الله معه ومن كان الله معه كان التوفيق حليفه في الدنيا والآخرة، يقول تعالى: ﴿ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ (٣) وقد بشر الله عز وجل الصابر فقال: ﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾ (٤) والصابر يأخذ أجره بدون عد أو حساب قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (٥).

(١) جامع البيان / الطبري ٤/ ٤٠٨.

(٢) أخرجه الحاكم: ٦٢٣/٣ وقال: (روى الحديث بأسانيد عن ابن عباس غير هذا)، والطبراني في الكبير: ١٢٣/١١، والشهاب في مسنده: ٤٣٥/١.

(٣) البقرة: ١٥٣.

(٤) البقرة: ١٥٥.

(٥) سورة الزمر: ١٠).

فإن جزاء الصابر المسترجع على مصيبته عظيم يقول الله تعالى:
﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ
صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَهْتَدُونَ ﴿١﴾. فالمسلم الذي يطيع
أمر الله فيسترجع عند حلول المصيبة يكون له ثلاث خصال من الله تعالى:

١- الصلاة عليه وهو الشاء من الله والأمن من العذاب.

٢- رحمة من الله تشمله.

٣- تحقيق سبيل الهدى له (٢). قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه:
(نعم العدلان ونعمت العلاوة) ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ
وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَهْتَدُونَ﴾ ﴿فهذه العلاوة وهي ما توضع بين العدلين وهي
زيادة في الحمل ، وقد أورد مسلم حديثاً عن فضل الاسترجاع، وأن الله
يبدل المصاب الذي يسترجع خيراً مما فقد.

عن أم سلمة أنها قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول: (ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله: إنا لله وإنا إليه
راجعون اللهم أجرني في مصيبي واخلف لي خيراً منها إلا أخلف الله له
خيراً منها، قالت: فلما مات أبو سلمة قلت: أي المسلمين خير من أبي
سلمة أول بيت هاجر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم إني قلتها

(١) سورة البقرة، آية: ١٥٦ - ١٥٧.

(٢) انظر جامع البيان / الطبري: ٤٣/٢، وتفسير القرآن العظيم / ابن كثير: ١٩٨/١.

أسباب لدفع البلاء قبل وقوعه... _____ د. منيرة بنت محمد المطلق

فأخلف الله لي رسول الله صلى الله عليه وسلم، قالت: فأرسل إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطب بن أبي بلتعة^(١) يخطبني له فقلت: إن لي بنتاً وأنا غيور فقال أما ابنتها فندعو الله أن يغنيها عنها، وأدعو الله أن يذهب بالغيرة^(٢).

المبحث الرابع ماء زمزم:

ومما يستشفى به ماء زمزم: فماء زمزم ليست كغيرها من المياه بل خصها الله عز وجل بمزايا منها تحقيق الغرض الذي شربت من أجله، قال صلى الله عليه وسلم: (ماء زمزم لما شرب له)^(٣). وذلك لبركتها، وأنها تغني عن الطعام، وهي سبب لدفع البلاء وللشفاء، يقول ﷺ: (إنها مباركة إنها طعام طعم)^(٤)، ويقول ﷺ: (إنها مباركة إنها طعام طعم وشفاء

(١) حاطب بن أبي بلتعة بن مرو اللخمي حليف بني أسد بن عبد العزى قديم الإسلام روى عنه علي بن أبي طالب رضي الله عنه كلامه في اعتذاره عن مكاتبة قريش وفيه نزلت (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء) وقد روى عنه ابنه عبد الرحمن عدة أحاديث وكذا أنس، مات حاطب رضي الله عنه سنة ٣٠ هـ انظر: تهذيب التهذيب / ابن حجر: ٢ / ١٤٧.

(٢) أخرجه مسلم: ٦٣١/٢.

(٣) أخرجه ابن ماجه: ١٠١٨/٢، وقال الألباني: في صحيح ابن ماجه: ١٨٣/٢ (صحيح).

(٤) أخرجه مسلم: ١٩١٩/٤.

سقم^(١)“ فماء زمزم شفاء لكل الأسقام وهي من أنجع الأدوية للحمى، فقد قال صلى الله عليه وسلم: (الحمى من فيح جهنم فبردوها بالماء أو قال بماء زمزم شك همام^(٢)). ويقوي أن المقصود في هذا الحديث ماء زمزم ما أخرج البيهقي بقوله: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحمل ماء زمزم في الأداوي^(٣)) والقرب فكان يصب على المرضى ويسقيهم^(٤). وكانت أسماء بنت الصديق ترش على بدن المحموم من الماء بين يديه وثوبه فيكون ذلك من باب النشرة المأذون بها والصحابي ولا سيما مثل أسماء التي هي ممن كان يلزم بيت النبي صلى الله عليه وسلم أعلم بالمراد من غيرها ولعل هذا هو السر في إيراد البخاري لحديثها عقب

(١) أخرجه الطبراني في الصغير ١/١٨٦، والطيالسي في مسنده ٦١، وقال: سعيد بن وهف في الدعاء: (إسناده صحيح). وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٣/٢٨٦: (رواه البزار والطبراني في الصغير ورجال البزار رجال الصحيح)

(٢) هو: أبو عبد الله همام بن يحيى بن دينار الأزدي مولى بني عوذ من أهل البصرة يروي عن الحسن وقتادة روى عنه ابن المبارك وأهل البصرة مات سنة ثلاث أو أربع وستين ومائة في شهر رمضان. انظر: طبقات الشافعية الكبرى/ أبو بكر بن أحمد ابن قاضي شهبة ١٠/٤٠٨، والأنساب ٤/٢٥٦.

(٣) البخاري: ٣/١١٩١.

(٤) إناء صغير من جلد يتخذ للماء لسان العرب/ابن منظور: ٤/٢٥.

(٥) أخرجه الترمذي: ١/٢٨٤، والبيهقي: ٥/٢٠٢، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة

أسباب لدفع البلاء قبل وقوعه... ————— د. منيرة بنت محمد المطلق

حديث ابن عباس المذكور^(١) وهذا من بديع ترتيبه^(٢). وهناك أدوية كثيرة ذكرها المصطفى صلى الله عليه وسلم مثل القسط، والسنا^(٣)، والثفاء.... فمن أراد الاستزادة فليرجع إلى كتب الطب في كتب الأحاديث، أو زاد المعاد للإمام ابن القيم، أو المنهل الروي في الطب النبوي لابن طولون وغيرها.

(١) سبق تخريجه في الهامش الأعلى، في الرواية التي فيها شك همام وعن ماء (زمزم).

(٢) فتح الباري / ابن حجر : ١٠ / ١٧ .

(٣) (نبت يتداوى به) مختار الصحاح: ١٣٤ .

الخاتمة

الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات

وبعد : لقد أمرنا الله بالتسليم والرضا بقضائه وقدره - سبحانه - ،
 فعلىنا أن نؤمن بأن ما يقع للعبد من بلاء إنما هو بقضاء الله وقدره
 وعلى العبد دفعه ، وإن وقع فعليه الصبر ومحاولة رفعه ويكون منعه
 باتخاذ الأسباب المانعة له مثل الدعاء . قال ﷺ : ((لا يرد القدر إلا
 الدعاء ، ولا يزيد في العمر إلا البر ، وإن الرجل ليحرم الرزق بالذنوب
 يصيبه)) ^(١) فالدعاء يرد القضاء بإذن الله والبر من أسباب جلب النعم ،
 والذنوب من أسباب وقوع البلاء مع التوكل على الله في رفع البلاء .
 ومعلوم أن دفع البلاء أسهل من رفعه بعد أن يقع ، فعلى المسلم
 الحرص على أسباب دفعه .

ومن أسباب دفع البلاء قبل وقوعه : الشكر و التقوى والتزود بالطاعات
 وترك المحرمات وعدم التعرض لأولياء الله و الأمر بالمعروف والنهي عن
 المنكر والحمد باللسان عند رؤية المبتلى و صلة الرحم والبعد عن الظلم
 وإسداء وصنع المعروف للناس والأخذ بالتحيزات الليلية والاستعاذة
 واستيداع الله الأشياء والأخذ بتوجيه المصطفى ﷺ عند رؤية الرؤى
 وحفظ الأطفال .

(١) أخرجه ابن ماجه : ١٣٣٤/٢ ، وأحمد : ٢٧٧/٥ ، والحاكم بلفظه ٦٧٠/١ ، (وقال
 صحيح الإسناد ولم يخرجاه وتابعه الذهبي) .

أسباب لدفع البلاء قبل وقوعه... _____ د. منيرة بنت محمد المطلق

ومن أسباب دفع البلاء بعد وقوعه :

التداوي بما أباح الله من الأدوية والتي منها العسل والحجامة والكلي
والحبة السوداء و ماء زمزم، ومن هذه الأسباب أيضا الصبر على البلاء.
والحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله
وصحبه وسلم.